الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية: الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التراث والهوية في رواية "البيت الأندلسي" لواسيني الأعرج

مذكرة مكمّلة ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبين:

عبد الخالق هويدي

عبد المجيد بالرابح

إشراف الدكتور:

نبيل مزوار

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
د. سعد مردف	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر
د. نبيل مزوار	مشرفاً ومقرراً	جامعة الشهيد حمه لخضر
أ. العلمي مسعودي	عضواً مناقشاً	جامعة الشهيد حمه لخضر

السنة الجامعية: 1437 ـ 1438هـ / 2016 ـ 2017م

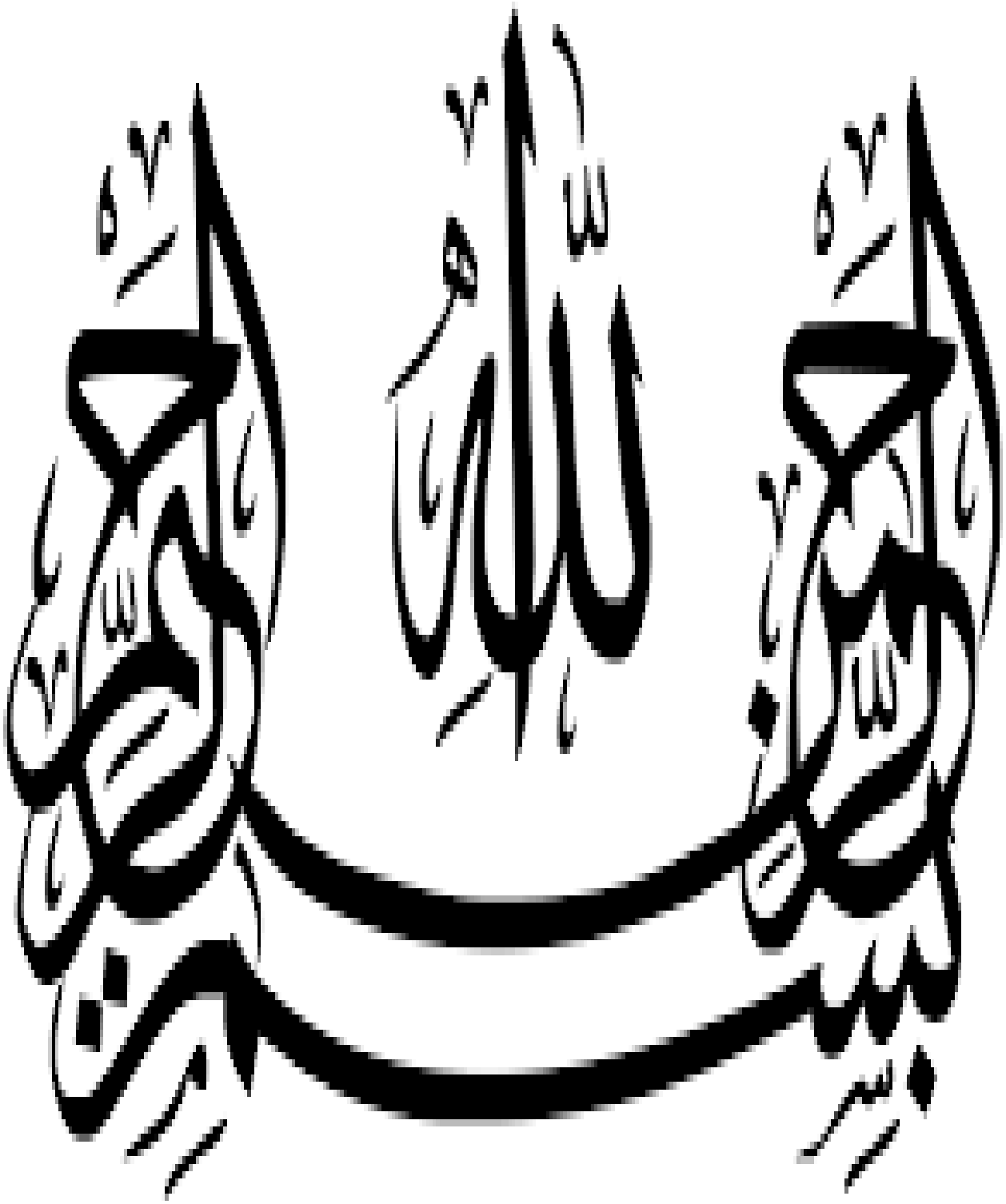

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الإسراء -85-

شكر وعرفان

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ * وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ .

سورة إبراهيم :الآية – 07 –

الحمد الله الذي كان لنا عونًا وحافظًا وناصرًا ، وما توفيقنا إلاَّ بالله ربّ العالمين ، لا يسعنا إلاَّ أن نتقدم بجزيل الشكر ، وخالص الامتنان إلى الأستاذ : " [redacted] " الذي لم يبخل علينا بعلمه ومعرفته وتوجيهاته .

كما نتقدم بالشكر إلى كل من مدّ لنا يدّ العون من قريب وبعيد .

مقدمة

يعتبر فن الرواية من الفنون المستحدثة في الثقافة العربية عامة والجزائرية خاصة ، التي ظلت في بداياتها حبيسة التقليد ، إلاَّ أن الرواية الجزائرية لم تعد عملا حكائيا ،يتمتع به القارئ فحسب بل انصرفت إلى محاكاة الواقع بوصفه ونقده، فاستلهمت من التراث وفعّلت التاريخ، فامتزج الأدب بالمعرفة والواقع بالخيال والحاضر بالتاريخ .

غير أن القارئ الجاد للرواية العربية الجزائرية ذات الاتجاه الواقعي التاريخي يلتمس توظيف التراث الذي له دلالات عدة منها إبراز الهوية وانتمائها المميز .

من هنا تولد اهتمام هذا البحث بهذه العلاقة المتشابكة بين الرواية والتراث والهوية فتوظيف التراث ليس من أجل التراث كغاية سطحية أو إعادة له فقط، بل يسهم أيضا في تشكيل أبعادها الدلالية من خلال عمل يبنى أشكاله وخصائصه على مقومات الهوية وعلى الذات والتاريخ والوطن والقيم الروحية والأخلاقية .

كما يرتبط أيضا بعملية التلقي الذي يلج من خلاله القارئ إلى أعماق الرواية فيكشف عن بنياتها الدلالية العميقة .

و رواية "البيت الأندلسي" "لواسيني الأعرج" خير مثال على ذلك إذ وظفت الرواية التراث بشتى أنواعه العالمية والمحلية، تتزاحم فيه الدلالات منها تثبيت الهوية وتميزها .

على أن من أسباب اختيارنا لهذه الرواية أن توظيف التراث وتفعيل التاريخ فيها بلغ من التنوع والثراء حدا يزين للباحثين التنقيب فيه ويغريهم بدراسته.

فجاء بحثنا موسوما بـ " التراث والهوية في رواية "البيت الأندلسي" "لواسيني الأعرج".

و تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية :

- ما مفهوم التراث ، أقسامه و خصائصه ؟ .
- ماهي بواعث توظيف التراث في الرواية ؟.

- كيف تطورت الرواية الجزائرية ؟.
- ماهي الاتجاهات التي سلكتها الرواية الجزائرية ؟.
- كيف وظف التراث في الرواية ؟.
- إشكالية الهوية (المفهوم) .
- ما علاقة التراث بالهوية وعلاقتهما بالرواية؟.

ونظرا لاتساع توظيف التراث والهوية في رواية البيت الأندلسي كان من الصعب الإلمام بجميع التوظيفات واخترنا أكثرها حضورا وإلحاحا من ذلك :

- الدلالة التراثية للعناوين .
- توظيف التاريخ وعلاقته بالهوية .
- استلهام التراث العالمي .
- توظيف الأدب الشعبي وعلاقته بالهوية .
- توظيف اللغة الأجنبية .
- توظيف المكان التراثي .
- التاريخ الواقعي والخيال الذهني في رواية "البيت الاندلسي"

ولكشف ما بين التراث والهوية من علاقة وللإجابة عن الأسئلة السابقة اعتمدنا ، المنهج الوصفي التاريخي ، وقد قسمنا بحثنا إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة .

تناولنا في الفصل الأول الكلام عن التراث مفهومه اللغوي والاصطلاحي وأنواع التراث وخصائصه ، وماهية الرواية ونشأتها في الجزائر ثم اتجاهاتها بعد ذلك علاقة الرواية بالتراث .

واما الفصل الثاني فقد خصصناه للهوية من حيث ماهيتها وأنواعها وأسسها ، ثم انتقلنا إلى علاقة الهوية بالتراث .

في حين كان موضوع الفصل الثالث الدراسة التطبيقية لرواية "البيت الأندلسي" قصد الكشف عن كيفية توظف وتعامل الكاتب مع عنصري الهوية والتراث.

لنخلص إلى خاتمة ضمنت أهم ما توصلنا إليه من نتائج في هذه الدراسة .

وقد اعتمدنا خلال هذه المسيرة العلمية على عدد من المراجع تعلقت بالموضوع وبعض الدراسات التطبيقية نذكر منها :

- توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة لمحمد رياض وتار .
- واسيني الأعرج هكذا تكلم هكذا كتب .
- الرواية التاريخية لرزان محمود إبراهيم .
- عبد السلام المسيري الهوية والمس اللغوي .
- نحن والتراث محمد عابد الجابري .

أما أبرز الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا في هذه الدراسة ، فهي اتساع موضوع (التراث) ، وصعوبة ضبط المفاهيم التعريفية خاصة عن الهوية وقلة المراجع المتخصصة .

وفي الختام لا يسعنا إلاَّ أنّ نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف: **الدكتور/نبيل مزوار** كفاء ما أنفقه من جهد ووقت وما أسداه من توجيهات و نصائح لبلوغ النتائج والثمار المرجوة، راجين من المولى عزَّ وجلَّ أنّ يحتسبها في ميزان حسناته .

الفصل الأول

التراث والرواية

تمهيد

المبحث الأول: التراث

المطلب الأول: مفهوم التراث

المطلب الثاني: أقسام التراث

المطلب الثالث: خصائص التراث

المطلب الرابع: بواعث توظيف التراث

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية

المطلب الأول: النشأة والتطور

المطلب الثاني: عوامل تأخر الرواية الجزائرية

المطلب الثالث: اتجاهات الرواية الجزائرية

المبحث الثالث: علاقة الرواية العربية بالتراث

المطلب الأول: علاقة الرواية بالتاريخ

المطلب الثاني: أسباب ازدهار الرواية التاريخية المعاصرة

المطلب الثالث: حضور التراث في الرواية العربية المعاصرة

المطلب الرابع: التراث العربي والهوية

تمهيد:

إن حضور التراث في حياة الأمة عموما هو ما يؤكد وجودها الفعلي، الحضاري والرمزي، ذلك أن: التراث هو التاريخ والذاكرة والشخصية التي تلون الأمة الواحدة بألوانها، فهو ليس تراكم خبرات ومعارف ولكنه اعتراف بوجود واعتراف بشخصية لها وجودها التاريخي والنفسي، بكيانها وموقعها في العالم، فنحن كثيرا ما نسمع وما نقرأ (أن أمة بلا تراث، أمة بلا جذور)، بل بلا مستقبل، لأن الجذور هي التي تغذي شجرة الحياة لتعطي ثمارها وتشع بنورها على الإنسانية جمعاء، الأمة التي لا تصون تراثها وتستفيد منه في جميع مجالات الحياة، أمة مقطوعة ولا يمكنها ان تسهم في بناء حاضر ومستقبل الإنسانية، بل لا يمكن أن تحافظ على كيانها كأمة.

المبحث الأول: التراث

المطلب الأول: مفهوم التراث

أ- التراث لغة:

أ-1: عند العرب: مصدر من الفعل ورث، والورث الميراث في المال، والإرث في الحسب، إذ يقال: ورث فلان فلاناً، اي انتقل اليه مال فلان بعد وفاته، ويقال. ورث المال والمجد عم فلان غذا صار مال فلان ومجده إليه[1]، وقد جاء في القرآن الكريم من سورة النمل:﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[2] ، ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[3]، للدلالة على انتقال الأمر من ورثته عن الأصل حقا.

كما جاء في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾[4]، ولفظة "التراث" أصلها وراث فقلبت الواو تاء كما في قولنا: " تقوى و تقاة من الوقي..." لثقل الضمة على الواو وكما جرى النحاة على القول.

أ-2: عند الغرب: إن مدلول المصطلح "موروث" تراث في القواميس اللغوية الثنائية أو الثلاثية تشير إلى أنه يقابل

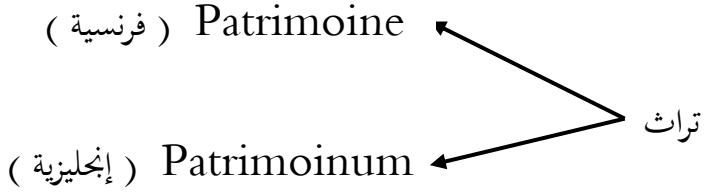

[1]- ينظر ابن منظور، لسان العرب (مادة ورث) دار صادر، بيروت، م2 ص 111

[2]- سورة النمل، الآية 16

[3]- سورة الأحزاب، الآية 27.

[4]- سورة الفجر، الآية 19.

ب–التراث اصطلاحا:

"هو ما خلفه لنا السلف من آثار علمية، وفنية، وأدبية، مما يعد نفيسا بالنسبة إلى تقاليد العصر الحاضر و روحه"[1].

" إن التراث موروث عن الأجداد ترك لنا فيه نتاج خبراتهم ومعارفهم لنصل إلى التراث بوصفه موروثا فاعلا و متطورا، فالناس هم صناع التراث يصيغونه وفق ظروفهم وحاجاتهم"[2].

التراث هو كل ما وصل الينا من الماضي ومن الحضارة السائدة[3]، والتراث بمعناه الواسع هو "ما خلفه السلف للخلف من ماديات ومعنويات أيا كان نوعها"[4].

ويشرح اسماعيل سيد علي هذه الفكرة فيبين أن التراث هو ذلك المخزون الثقافي المتنوع و الموروث من قبل الآباء والاجداد والمشتمل على القيم الدينية والتاريخية والحضارية والشعبية بما فيها من عادات وتقاليد سواء أكانت هذه القيم مدونه في كتب التراث أو مبثوثة بين سطورها أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزمن أي أن التراث هو روح الماضي والحاضر و المستقبل للإنسان الذي يحيا به وتموت شخصيته وهويته اذ ابتعد عنه وفقده[5].

المطلب الثاني: أقسام التراث:

أ–تراث مادي: كالمباني الاثرية و ما تكشفه الحفريات وتضمه المتاحف وكلها تمثل عصورها بشكل أو بآخر.

ب–تراث فكري: قوامه ما قدمه السابقون من علماء، وكتاب ومفكرين و مسؤولين كانوا شهودا على عصورهم ومبدعين من خلالها.

[1]– وهبة مجدي، معجم المصطلحات الادبية في اللغة والأدب، بيروت 1979 ص 53

[2]– القمالي السيد، الاسطورة والتراث، ط3، المركز المصري للبحوث والحضارة، القاهرة،1999 ص 20

[3]– حنفي حسن، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، ط5، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،2002، ص13

[4]– محمد سليمان حسين، التراث العربي الإسلامي دراسة تاريخية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، دت، ص13

[5]– ينظر اسماعيل سيد علي، اثر التراث في المسرح المعاصر، دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دارالمرباح،2000، ص40

ج–تراث اجتماعي: قوامه قواعد السلوك والعادات المجتمعية والأمثال والتقاليد، ومنظومة القيم الاجتماعية، وهي تشكل بناء خلقيا متماسكا طويل الدوام، كبير الضغط و التأثير على الأفراد وإن يكن مقيما وراء الشعور والوعي في غالب الأحيان ويمكن للمرء أن يفصل كل قسم من هذه الأقسام إلى عدة أصناف ويشتمل:

1: الموروثات الشفاهية كالحكايات و الأمثال و الأزجال و اللهجات.
2: العادات والسجايا و الأزياء وغيرها من التقاليد الاجتماعية.
3: الفنون الشعبية كالغناء والموسيقى.

المطلب الثالث: خصائص التراث

يحتل التراث كمفهوم مركزا مهما في الخطاب الروائي العربي وبخاصة في إطار الهوية و المعاصرة.

أ–الحركية وعدم الانقطاع: ينبغي للتراث أن يتواصل عبر الزمن واذ انقطع وانتهى عند حدود الحاضر فإنه لا يمكن أن يشكل تراثا لنا انما يصبح جزءًا من ماضينا وذاكرة حضارتنا.[1]

ب–صدق التراث في التعبير عن البيئة التي نشأ فيها: ففكرة التراث تتضمن احتواء جيناته على القيم البيئية والحضارية التي أفرزته وهناك من التراث ما يمكن أن يشترك به أكثر من أمة.

ج–ضرورة انتماء التراث بمضمونه للحضارة والثقافة انتماء جوهر لا انتماء زمن: فكم من موروث معاصر لأمة ما لا يمكن أن يصلح أن يكون تراثاً لها، فالحضارة الرومانية في الأمم المعاصرة ليست تراثاً لها بل تصلح لأن تدخل حيز وعيها وذاكرة تاريخها فقط[2].

د–التواتر الزمني للتراث: ويعني تناقل التراث من جيل لآخر و تفضي هذه العملية إلى التواصل بين الأجيال.

هـ–التراث يغلب عليه صفة القدم وجذوره ضاربة في حضارة و ثقافة الامة: وهذه الصفة ليست شرطية ولكن قد يغلب عليه القدم في الكثير من أصناف التراث المتعددة.

[1]– ينظر محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1991 ص22.23

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص 45.

و–البساطة: فالتراث وقيم التراث و بنيته التكوينية تستمد من قيم حضارية عالية المعنى والمبنى، فالتراث يعكس الخصوصية والعفة والتسامح و الكرم والجمال.

المطلب الرابع: بواعث توظيف التراث:

أ– البواعث الواقعية: أدت حرب 1967م، وما تمخض عنها من نتائج سلبية إلى خيبة أمل كبيرة ظلت تحفر عميقا في وجدان أبناء الأمة العربية ولا سيما المثقفون الذين أدركوا أن الهزيمة لم تكن عسكرية فقط بل كانت هزيمة حضارية أيضا، ما جعلهم يعيدون مسألة بناء الذات ومن خلال مساءلة الماضي والوقوف على الخصائص المميزة للهوية الخاصة[1].

فقد استجابت الرواية العربية عامة و الجزائرية خاصة بوصفها أحد مظاهر الثقافة في المجتمع، ضف إلى ذلك – بخصوص الرواية الجزائرية – أن الجزائر مرت بظروف عصيبة أثناء العشرية السوداء، وتكالب الدول الغربية عليها من خلال طمس الهوية عن طريق تزوير التاريخ.

ب– البواعث الفنية: تعد العلاقة بين الرواية العربية و الرواية الغربية أحد أهم الأسباب

التي دفعت الروائيين في العقود الثلاثة الأخيرة إلى التركيز على توظيف التراث ، كما ظهرت روايات أخرى تنتمي إلى أمريكا اللاتينية واليابان إذ تميزت هذه الروايات بشكل فني مغاير للشكل الفني في الرواية الغربية، التي عرفت بميل كتابها إلى الغموض في البيئة المحلية، ورصد لعادات الشعب وتقاليده وتراثه، وتوظيف التراث الإنساني ، وقد أثرت حكايات ألف ليلة وليلة للروائي الكولومبي " غابرييل غارسي ماركيز "[2]، في دفع الرواية العربية للعودة إلى قراءة التراث والتأسيس عليه، والغوص في البيئة المحلية.

ج– البواعث الثقافية: مهد لظاهرة توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ما بذله بعض النقاد والباحثين من جهود للعودة بالرواية العربية، إلى تلك الأصول والجذور التراثية بدلا من ربطها بالرواية

[1]– ينضر محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد كتاب العرب ،دمشق،2002،ص11

[2]– ينظر : عشري زايد علي، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ط1 ،دار الفكر العربي، القاهرة ،1997، ص16-44.

الغربية، وقد وجد هؤلاء الباحثون أن كتب التراث تنطوي على كثيرة من القصص، كالقصص الديني والبطولي والفلسفي[1].

وقد أحصى الدكتور " عبد الله او هيف "في أطروحته للدكتوراه الكتب التي تحدثت عن التراث السردي، وتوقف مليا عند كتاب الرواية العربية – عصر التجميع" للباحث فاروق خورشيد الذي أمعن في النظر في منابع الرواية العربية[2].

د- العامل السياسي: ويتمثل في ظهور أحزاب سياسية عربية، وفي مقدمتها حزب " البعث " جعلت من التراث العصب الحساس في أيدولوجيتها، فكان تمجيد هذه التشكيلات السياسية للتراث أثره الواضح في البحث الفلسفي والكتابة الأدبية[3].

ويرى عامر مخلوف أن هذه البواعث غير كافية لتحديد دواعي توظيف التراث في الرواية فيضيف عليها ما يأتي:

1-المقاومة: حيث تصبح العودة إلى التراث وإحيائه والتمسك به ضرورة لمقاومة الاستعمار ومواجهة سياسية الاجتثاث الرامية إلى طمس التراث وإتلاف معالم الهوية.

2-الاستقلالية والتميز: ففي سياق محاربة الافكار المستوردة، ومحاولات التخلص من التبعية، برزت دعوة الأدباء إلى استلهام التراث وتوظيفه قصد اضفاء نوع من الخصوصية على الرواية العربية.

3-المعارك الفكرية حول التراث: فقد تحول التراث إلى سلاح أيديولوجي بفعل الحرب الباردة الأمر الذي أدى إلى بروز دعوات ومؤلفات فكرية وفلسفية تتبنى الرهان في توظيف التراث.

4-جمالية التراث وطبيعة الرواية: فمن جهة نلاحظ ان التراث العربي يتسم بالجمال والتنوع والقدرة على التأثير في الآداب العالمية مثلما احدثته قصص " ألف ليلة وليلة " أو " رسالة الغفران "،

[1]- ينظر : موسي سليمان ،الأدب القصصي عند العرب، ط3، دار الكاتب اللبناني، بيروت ،1960،

[2]- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،ص13

[3]- ينظر : المرجع السابق، ص13-15.

ومن جهة ثانية نجد أن فن الرواية بطبيعته الموسوعية، له القدرة على احتضان أجناس أدبية متعددة، وبالتالي القدرة على توظيف التراث [1].

[1]- ينظر : عامر مخلوف، توظيف التراث في الرواية الجزائرية، منشورات دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، سنة 2005، ص13-15.

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية:

المطلب الأول: النشأة والتطور:

عرف الغرب فن الرواية وعدها جنسا أدبيا مع نهاية القرن السادس عشر الميلادي، وتعد رواية " دون كيخوت دي لامنشا " ل " سرفانتس (1547م/1610م) أول ما ظهر في تاريخ الأدب الغربي في هذا المجال، وقد ساهم في انتشار هذا الفن تعبيره عن اهتمامات الفرد العادي والحياة اليومية.

ولا نكاد نصل إلى منتصف القرن السابع عشر ميلادي حتى ظهرت موجة من الروائيين في الأدب الفرنسي والإيطالي والإنجليزي.

أما في الأدب العربي فإنها حديثة النشأة ترجع إلى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي (وقد كانت مصر رائدة في هذا الميدان حيث استطاعت أن تنتبه إلى هذا الفن الجديد ثم دعت إلى ضرورة محاكاته في مصر والعالم لعربي)[1].

وتعود جذورها إلى عصر النهضة وهو الاسم الذي يطلق على حقبة التحرك نحو الانبعاث الثقافي الذي بدأ جديا في القرن التاسع عشر الميلادي، فاختلفت ظواهر هذا الانبعاث ومساراته وتأثيره باختلاف الأقطار العربية، غير أن التطور في هذا الاتجاه كان في جميع تلك الأقطار، نتيجة لبروز وتفاعل عاملين أساسيين أطلقت عليهما أسماء مختلفة: القديم والحديث، التقليدي والمعاصر، إلاَّ أننا نستطيع القول بأنه كان نتيجة للمواجهة والالتقاء بين كل من الغرب بعلومه وثقافته من جهة، وبين إعادة لاكتشاف و إحياء التراث الكلاسيكي العظيم للثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى.

وفي الجزائر ظهرت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية على يد مولود فرعون (1950م، في روايته ابن الفقير)، وفي عام 1952 م ظهرت رواية " الهضبة المنسية " لمولود معمري، وفي وفي العام نفسه نشر محمد ديب روايته " البيت الكبير " وفي عام 1953م أصدر مولود فرعون " الأرض والدماء " وفي 1955 ظهرت " نوم عادل " لمولود معمري[2].

[1]- السعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ،دار المعرفة،1997، ص15.

[2]- علي ملاحي، هكذا تكلم طاهر وطار، كنوز الحكمة، 2011، ص466.

وبدءً من عام 1956م تأكد الالتزام السياسي أكثر بانطلاق النضال حيث استلهم الكتاب الحدث فظهرت رواية " الجثة المطوية: لكاتب ياسين، وتعقبتها رواية " نجمة ".

أما عن الرواية العربية فتعود جذورها إلى ما قبل الاستقلال، وتحديدا إلى عام 1947م حين صنفت أول رواية مكتوبة بالعربية على يد أحمد رضا حوحو " غادة أم القرى "، وهي رواية تتناول جانبا اجتماعيا[1].

بعدها ظهرت رواية "الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي ثم توقف الإبداع الروائي حتى 1967م على يدّ محمد منيع " صوت الغرام ".

ومع بدايات السبعينيات التي شهدت تغيرات قاعدية كبيرة كانت الولادة الثانية والأكثر عمقا للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، فجاءت: "اللاّز" إنجازا فنيا جريئا وضخما، يطرح بكل واقعية وموضوعية قضية الثورة الوطنية بعيدا عن الشعارات التي تحتمي وراءها الأقلام الهزيلة.

الشيء نفسه عني به " مرزاق بطاش " في روايته " طيور في الظهيرة " فقد حاول أن يغطي فنيا (انجازات الثورة الوطنية، ويرسم بريشة دقيقة معاناة الطبقة المسحوقة إبان الاستعمار الفرنسي، والهموم الكبيرة التي يعيشها الأطفال)[2].

لا نبالغ إذا أطلقنا على فترة السبعينيات 1970م/1980م، عقد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، قد شهدت هذه الفترة وحدها ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ

الجزائر على الإطلاق من الإنجازات المختلفة في شتى الميادين، فكانت الرواية تجسيدا لذلك كله، وتعداد وحضور الرواية القوي في تلك الفترة تؤكده لغة الارقام [3]:

- " نار ونور "، " دماء ودموع "، " الخنازير"... ل: عبد المالك مرتاض.
- " اللاّز "، " الحوات والقصر "، " عرس بغل "، " العشق والموت في الزمن الحراشي "... لـ: الطاهر وطار.

[1]- المرجع نفسه، ص467.

[2]- واسيني الأعرج ،اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1986، ص90.

[3]- ينظر : واسيني الأعرج، المرجع نفسه، ص111.

- " قبل الزلزال"...لـ: علاوة بوجادي.
- " طيور في الظهيرة "...لـ: مرزاق بقطاش.
- " ريح الجنوب "، " نهاية الأمس "، " بان الصبح "...لـ: عبد الحميد بن هدوقة.

وغيرها من الروايات الأخرى التي كانت النتاج الفني الطبيعي لهذه الفترة التاريخية.

ان سيطرت تداعيات الاحداث المتراكمة لحرب التحرر والتغيرات السياسية والفكرية، وإحساس الشعب الجزائري أنه أحوج إلى إعادة تأسيس مفاهيم هويته الوطنية والقومية[1]، كل ذلك جعل معظم الأعمال الإبداعية تنزع إلى الواقعية الأمر الذي أبعد الكتاب عن الروايات التاريخية التراثية والروايات الرومانسية، فلم يكن للمبدع في ظل تلك الظروف إلا أن يلجأ إلى الماضي،... وينغلق على ذاته[2].

ومن أهم رواد الاتجاه التاريخي نجد واسيني الأعرج الذي نحن بصدد دراسة روايته البيت الأندلسي.

المطلب الثاني: عوامل تأخر الرواية الجزائرية:

لقد تأخر ظهور الرواية التاريخية في الجزائر مقارنة بالدول العربية الأخرى كمصر خاصة، ولعل هذا راجع إلى العوامل التالية:

أ- العوامل السياسية:

يعد العامل السياسي أهم العوامل التي أثرت على الحياة الإنسانية ، فقد مرّ الشعب الجزائري بظروف صراع سياسي وحضاري فرضت عليه الانفعال في النظرة والتسرع في ردود أفعاله وعدم التمهل في التعبير على مشاعره ومواقفه، مما جعل الأديب يميل إلى القصيدة الشعرية والأقصوصة، التي تعبر عن اللمحة العابرة أكثر مما تعبر عن موقف مدروس في أبعاد إيديولوجية وفنية واضحة.

[1]- علي ملاحي، المرجع السابق، ص472.

[2]- عبد الفتاح عثمان، الرواية العربية الجزائرية والرواية الواقعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص20.

فكان للثورة وقعها الخاص في التطور الحاسم في الأدب الجزائري " وهكذا استمر الأديب الجزائري يسهم في سير الثورة ويقوم بدوره في الصراع السياسي والحضاري عن طريق الشعر والمقالة الفكرية والقصة القصيرة التي اتخذت في هذه الفترة بالذات طابعا رومنسيا واضحا "[1].

ب– العوامل الاجتماعية:

لا يمكن أن نغفل عن عدم وجود المتلقي للنتاج الادبي وخاصة الرواية، وكيف يوجد في ظل الأمية التي فرضتها سلطات الاستعمار الفرنسي على العقل الجزائري كي يظل متخلفا وهذا ما ذكره الباحث الفرنسي " سيسيبل أيمري " الذي كان مراسلا للمجمع العلمي وأستاذا بجامعة الجزائر، في مقال له إذ كتب يقول: " يوجد في قطر الجزائر بعد مئة عام من انتصابنا فيه 82% من الأميين الذين يجهلون القراءة والكتابة "[2].

وهناك عوامل أخرى ساهمت في عدم تطور الرواية وهي التقاليد، أبرزها ما يتعلق بوضع المرأة في المجتمع إذ كانت مغلقة لا تسمح لها بالاختلاط أو المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية، ولهذا من الصعب أن تعالج القصة علاقة الرجل بالمرأة، أو أن تتعرض لهذا الموضوع وما إلى ذلك [3].

ومع ذلك فإن كتاب الرواية العربية الجزائرية قد أتيح لهم أن يقرؤوا في لغتهم عيونا واسعة في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة " لكنهم لم يتصلوا بهذا النتاج إلاَّ في فترة قريبة بسبب الظروف التي عاشوها وعاشتها القومية في الجزائر "[4].

ج– العوامل الفنية والثقافية:

لم تظهر الرواية الفنية المكتوبة باللغة العربية حتى فترة السبعينيات، ويعود ذلك إلى ان هذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل، وإلى صبر وأناة، فهو يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به، وفي مقدمة هذه العوامل أن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة العربة اتجهوا إلى القصة القصيرة "لأنها تعبر عن واقع الحياة اليومي، خاصة أثناء الثورة التي أحدثت تغيرا عميقا في الفرد، أما

[1]– محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983، ص07.

[2]– عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص164-165.

[3]– المرجع نفسه، ص166.

[4]– عبد الله ركيبي، المرجع السابق، ص200.

الرواية فإنها تعالج قطاعا من المجتمع يتشكل من شخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاربها، وتتفرع تجاربها وتتصارع أهواؤها ومواقفها "[1] ،ومن ثم كان الكاتب يحتاج إلى تأمل طويل، بالإضافة إلى أن الرواية تتطلب لغة طبيعية مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة، هذا ما لم يتوفر لها سوى بعد الاستقلال.

وفوق هذا فإن كتاب الرواية الجزائري لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يقلدونها أو ينسجون على منوالها، كما كان الأمر بالنسبة للكتاب باللغة الفرنسية.

المطلب الثالث: اتجاهات الرواية الجزائرية:

أ- الاتجاه الاصطلاحي:

مثلته جمعية العلماء المسلمين في هذا السياق الوجه المشرق للفكر الاصلاحي وقد أسس هذا الاتجاه للرواية المكتوبة باللغة العربية مثل: " غادة أم القرى " ل: أحمد رضا حوحو، " الطالب المنكوب "ل: عبد المجيد الشافعي، " صوت الغرام " ل: محمد المنيع، " حورية " ل: عبد العزيز عبد المجيد.

إن الروايات التي تنضوي تحت هذا الاتجاه الاصلاحي ليست روايات بالمعنى الكامل، لتأثرها بالأدب العربي القديم أكثر من تأثيرها بالأدب العربي الحديث، فقد اتخذ معظمها شكل المقامات لكن يكفيها أنها أسست للرواية العربية في الجزائر [2].

ب- الاتجاه الرومانتيكي:

الجزائر المستعمرة لم تكن بعيدة عن التأثر بشكل من الأشكال بالتيارات والفلسفات المثالية التي كانت تسيطر على الساحة الثقافية فالحركة الرومانتيكية الجزائرية أخذ مداها في الاتساع قبل الثورة التحريرية خصوصا في الشعر، ومع حلول السبعينيات من القرن الماضي اتخذ هذا التيار توجها آخر حاول من خلاله التعبير عن مختلف القضايا الوطنية، ويمكن أن نصف تحت هذا الوعي الرومانتيكي ست روايات هي: " ما لا تذروه الرياح " ل: محمد عرعار، " نهاية الأمس " ل: عبد الحميد بن

[1]- محمد مصايف، الرواية العربية الجزائري الحديث، ص08.

[2]- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية الجزائرية ،ص129.

هدوقة، " دماء ودموع " ل: عبد المالك مرتاض، " حب أم شرف " ل: شريف شناتلية، " الشمس تشرق على الجميع " و" الأجساد المحمومة " ل: إسماعيل غموقات.

ج- الاتجاه الواقعي النقدي:

ظهرت القدرة على التلاؤم مع أزمات الواقع، ورصدها بشكل واقعي في الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي، وقبلها عند التجزئريين، فكان ذلك إيذانا بتبلور اتجاه أدبي واقعي يحمل نسقا جديدا، واستمر ذلك مع جملة من الكتاب حتى اندلاع الثورة التحريرية، ثم بعد الاستقلال على يد قافلة من الكتاب هم: " محمد ديب "، "كاتب ياسين "، " مولود فرعون"، " آسيا جبار "، " مالك حداد "، "عبد الحميد بن هدوقة "، " عرعار محمد العالي"، " نور الدين بوجدرة " وغيرهم [1].

د- الاتجاه الواقعي الاشتراكي:

"بدأ هذا الاتجاه في الظهور على ساحة الرواية الجزائرية في روايات " محمد ديب "، " كاتب ياسين "، لقد جاءت الرواية عندهم وبالرغم من اللغة الفرنسية عملا جزائريا يشارك في حركة المقاومة بأوفر نصيب"[2].

هذه الساحة التي أفرزت أدبا جزائريا عربيا متميزا إلى حد بعيد، مرتبطا بواقعه بشكل عضوي، يقول واسيني الأعرج مدافعا عن الواقعية الاشتراكية: " من هنا تظهر القوة اللامحدودة للتعبير في الواقعية الاشتراكية التي تتيح لكل النماذج البشرية التعبير عن موقفها ووعيها وحالتها من خلال واقعها الطبقي المعيش "[3].

ومن الأعمال الروائية الجزائرية الناجحة المكتوبة بالعربية والتي تحمل أبعاد الاتجاه الواقعي الاشتراكي أعمال الروائي الطاهر وطار: "اللاّز " ،" العشق والموت في الزمن الحراشي " ،" الحوات والقصر "، " عرس بغل " و" الزلزال ".

[1]- واسيني الأعرج، النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1985م، ص28.

[2]- شكري غالي، أدب المقاومة، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط2، بيروت، لبنان ،1979م، ص 152-153.

[3]- واسيني الأعرج، الطاهر وطار وتجربة الكتابة الواقعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1989م، ص49.

المبحث الثالث: علاقة الرواية العربية بالتراث

المطلب الأول: علاقة الرواية بالتاريخ

ظهرت الرواية الحديثة في مرحلة الانعتاق من أسر الفكر التقليدي الذي ساد الثقافة العربية ردحا من الزمن، وقد مثلت الكتابة الإبداعية الجديدة التي روت عطش المثقف وقربت الابداع من طموح الكاتب والقارئ معا، "فقد أثبتت المضامين الروائية قدرات ابداعية هائلة في طرح أزمات تجمع الكاتب وقراءه موضوعها اشكاليات الفكر وقراءة الأيديولوجيات وحوار الأنا والآخر...فأصبحت بعد ذلك كله " ديوان العرب "[1] المحدثين.

وقد أنجبت السرديات الحديثة فن الرواية الذي اكتسب منذ نضوجه عبر القرن والنصف قرن في عالمنا العربي طائفة فنية ومعرفية أثبتت قدراتها على الخوض في أخطر القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية...بعد أن ضاعفت صوت الجماعة وعبرت عن أزمة الانسان المعاصر.

فقد غدت الرواية " الشكل التعبيري الأقدر على التقاط صور وعلامات التحولات، من خلال كتابة التاريخ العميق الخفي الممتزج بالزمن المعيش، وبأسئلة الإنسان العربي داخل تاريخه الحديث المتسارع الإيقاع، المزدحم بالأحداث والهزات والحبوط... وشيئا فشيئا أصبحت الرواية العربية، ونقصد نماذجها الجادة الواعية لخصوصيتها الأستيتيقية، مجالا لمكاشفة الذات واجتراح الحوار وطرح الأسئلة الصعبة عبر الرصد لتغيرات المجتمع والإنسان والقضاء. "[2].

إن التاريخ يشكل مادة هامة بالنسبة للروائي، يستمد منه موضوعاته وشخصياته وحوادث روايته ،" فليس صعبا او مستحيلا أن يكون التاريخ إلهاماً أو تجربة أو ومصدراً لعمل روائي ما، كما يحدث مع التجربة الواقعية المعيشة، وقد يكون الماضي مناسبا أكثر لممارسة العمل الأدبي الروائي، كلما كان أكثر طواعية بين يدي المؤلف، بسبب أن أحداث الماضي قد تبلورت على مرّ الأيام،

[1] – طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، القاهرة ،2003، ص264.

[2] – محمد برادة، أسئلة الرواية أسئلة النقد، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، المغرب ،1996، ص56.

فاستطاعت أن تنتزع عنها الملابسات والتفاصيل، التي ليست ذات بال، ومن حيث الدلالات التي يريدها الكاتب للوصول للهدف الذي يرمي غليه من عمله الفني[1].

إذ أن علاقة الرواية بالتاريخ هي من القضايا النقدية الشائكة ، ذلك أن الرواية ابداع يراهن على الخيال لتحقيق الجمال والتأثير، في حين أن التاريخ يراهن على الحقيقة لتحقيق الموضوعية والإقناع، وفي هذا الباب يذكر " مندور محمد " موقفين للنقاد من هذه القضية: يتمثل الموقف الأول في إنكار حق الأديب في تغيير وقائع التاريخ وبخاصة الكبرى منها، وهم يشبهون موقفه من التاريخ الفعلي الأكيد بموقفه من الحياة المعاصرة لأن التاريخ ما هو إلاَّ الحياة الماضية، وحتما للأديب الحق في أن يتخير ما يحلو له من وقائع التاريخ، على أن يؤدي هذا الاختيار إلى قلب حقائق التاريخ والعبث بمنطقه ، كما له أن يفسر التاريخ على النحو الذي يهد به إليه احساسه، وأن يتخير من بواعث الأحداث وخفايا النفوس ما توحي إليه به الوقائع وأن يحكم تبعا لهذا التفسير.

اما الموقف الثاني الذي يورده "محمد مندور" فيما يراه نقاد آخرون بخصوص هذه القضية، فهو يتمثل بالحرية المطلقة للأديب إزاء أحداث التاريخ.

"فالقول بأن الرواية التاريخية تنطلق من الخطاب التاريخي ولكنها بالضرورة ستجري عليه تحويلا حتى تخرج بخطاب جديد له مواصفات خاصة ورسالة تختلف جذريا عن الرسالة التي يقررها التاريخ"[2].

"من هذا المنظور جاءت رواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد"[3]، "لتكتب التاريخ لتعيد تشكيل صورة الأمير في الوجدان الجزائري، على غير الهيئة الرسمية لترسم التاريخ الحقيقي"[4].

"فالسرد التاريخي يلبي رغبة انسانية تكاد تكون فطرية في معرفة أحداث الماضي ، وفي معرفة أصول الأشياء والظهور والجماعات البشرية، فإن الرواية تغدو سبيلا معرفيا يحقق هذه الرغبة، ناهيك عن مطلب انساني ملح في الجمع بين المعرفة والمتعة"[5].

[1]- ينضر رزان ابراهيم محمود،الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية،ط1،دار جرير 2012،ص36

[2]- ابراهيم عبد الله، من الرواية التاريخية إلى التمثيل التاريخي، صحيفة العرب القطرية ،28 أفريل 2010.

[3]- الأعرج وانيسي، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، دار الادب، بيروت ،2005.

[4]- رزان ابراهيم، الرواية التاريخية، ص38.

[5]- قاسم عبدة، الرواية التاريخية العربية، زمن الازدهار المستقبل، 27 تموز 2010، ع3723.

فالتاريخ لا يعد بطبيعته وبنيته ملمحا روائيا مهما طفت أشكال البحث العلمي، والرواية لم تعد عملا أدبيا حكائيا يدهش القارئ المستقبل بالعمق الإنساني وحده، أو كثرة مواقف شخوصها وحركتها وتفاعلها، وانصرفت عن محاكاة الواقع أو وصفه وكشف عيوبه واختلالاته.

وكما أن كتب التاريخ لم تنهل من المادة الأدبية في عصر الكتابة نثراً أو شعراً "فإن كتب الأدب لم تخل من الإشارات التاريخية، الخالصة أو الضمنية"[1].

المطلب الثاني: أسباب ازدهار الرواية التاريخية المعاصرة:

تقول رزان محمود ابراهيم: " أما أسباب ازدهار الرواية التاريخية في وقتنا الحالي تستطيع ان تربط بينها وبين أزمات ثقافية لها صلة بالهوية والرغبة في التأصيل، والأغلب ان المتخيل التاريخي قد يظهر باعتباره مكافئا سرديا، لحاضر كثيف تتضارب فيه الرؤى وتتعارض فيه وجهات النظر، فوصول الأمم إلى مفترق طرق في مصائرها يدفع بسؤال الهوية التاريخية إلى المقدمة وما فتئ الإنسان راغبا في معرفة ذاته والحقيقة التاريخية بلا شك تسهم في تحقيق هذه الرغبة الملحة لديه "[2].وهذا لا يمنع من الانزلاق في التزييف والتزيين.

"فيأتي الخطر احيانا من اتكاء قصدي على الماضي يتخذ ذريعة لإنتاج هوية تقول بالصفاء الكامل والنقاء المطلق"[3].

المطلب الثالث: حضور التراث في الرواية العربية المعاصرة

تعتبر المادة التراثية بما تحمله من زخم معرفي ثقافي وفني أدبي، أهم رافد يتكئ عليه الخطاب الفني المعاصر عموما والسردي منه على وجه الخصوص، فباعتباره نتاج حقيقة زمنية ماضية، فهو يعكس سياقات فكرية تتنوع بين الفلسفية والدينية اللغوية فلأدبية... مما قد يحقق له صيرورة الانفتاح على ازمنة لاحقة تخافها عقول تعي ضرورة تأصيل الحداثة بالعودة المستلهمة لما صلح من التراث.

[1]- المرجع السابق.

[2]- رزان محمود ابراهيم، المرجع السابق ،ص 43.

[3]- المرجع نفسه، ص44.

" يبرز ذلك بجلاء من خلال نجاح الروائي العربي مثلا في ترهين النظر غلى التاريخ واقامة صلاته بالواقع العربي في مختلف تجلياته ، وذلك من خلال انتباهه إلى العديد من الحقب التاريخية المهملة، خاصة ما درج الباحثون على تسميتها ب: " عصر الانحطاط"، كما أن الروائي العربي اهتم اهتماما بالغا باليومي ومختلف أنماط الحياة الشعبية ومختلف تجسيداتها...."[1].

ويجمع الباحثون الذين أرخو للرواية العربية خلال عمرها الذي لا يكاد يتجاوز مائة سنة على ان الرواية العربية في نشأتها وعلاقتها بالتراث مرت بثلاث مراحل هي[2]:

أ- **مرحلة المخاض:** اتجهت الثقافة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى احياء التراث العربي القديم شعره ونثره، فحاكي الشعراء الجدد قصائدهم النموذج الشعري القديم وقلد القدامى في الوزن والموضوع والقوافي والأسلوب...الخ.

"والتفت الأدباء إلى إحياء النثر العربي القديم فكتب ابراهيم اليازجي " مجمع البحرين " مقتديا بمقامات بديع الزمان الهمذاني"[3].

"وقد ساهمت المدرسة الإحيائية بتمسكها بالقديم وتقليدها له، وسيرها على منواله واقتصار رجالاتها على المضامين الفكرية الغربية واهمال الجانب الأدبي"[4]، في تأخر الرواية بمعناها الحديث.

وفي هذه المرحلة نقف على بعض الروايات كـ:

- تأثير المقامة في رواية " علم الدين " لعلي مبارك.
- "رواية ليالي سطيح " لحافظ ابراهيم.
- "حديث عيسى بن هشام " لمحمد المويلحي.

[1]- سعيد يقطين، السرد العربي (مفاهيم وتجليات)، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2005،ص58.

[2]- ينظر : عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية الحديثة في مصر، دار المعارف، القاهرة ،1963.

[3] - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دمشق ،2002، ص28.

[4]- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية المعاصرة في مصر، ، ص52.

فمثلا اتخذت رواية " علم الدين " على الصعيد الفني شكل المقالات القصصية (المسامرات) وهو شكل تقليدي يرجع إلى فن المقامات في النثر العربي، ولكن بعدما حملها المؤلف مضامين جديدة تتناول بعض مظاهر الحياة العمرانية والعلوم الطبيعية والمباحث والتاريخ[1].

ب- **مرحلة التأسيس:** يؤرخ معظم المؤرخين لظهور الرواية الفنية في الأدب العربي الحديث برواية " زينب" لمحمد حسين هيكل ورواية "قدر بلهو" لشكيب الجابري و الملاحظ أن الروايتين تزخران بالمؤثرات التراثية إلى جانب كونها خطوة هامة عن طريق الرواية النفسية بسبب تخلصهما من عيوب الروايات السابقة واقترابهما من تقنيات الرواية المعاصرة نتيجة تأثرهما بالرواية الغربية التي كانت في أثناء صدورهما قد قطعت شوط بعيدا عن طريق النضج الفني[2].

ج- **مرحلة النضج:** وهذه المرحلة مثلها كل من نجيب محفوظ ويوسف ادريس والطاهر وطار و عبد الحميد بن هدوقه، وواسيني الأعرج وغيرهم. وقد وظف نجيب محفوظ الخطاب الصوفي في رواية "ليلى الف ليلة"، وكما وظف الطاهر وطار الأسطورة في القصر والحوات.

المطلب الرابع: التراث العربي والهوية:

الموروث العربي هو " مجموع الإنتاج الذي خلفه العرب وغيرهم من الأجناس التي دخلت فبي نطاق الحضارة العربية الإسلامية باللغه العربية. وحين نركز على اللغة العربية في هذا التحديد فلأنها الإطار الذي نظم كل أشكال التعبير والتفكير "[3].

ومن هنا يمكننا القول أن المصطلح العام الدال على هذا النتاج (تراث) قد اكتسب مفهوما وجدانيا وأيديولوجيا جعله "الموروث" الثقافي والفكري والديني و الفني الأدبي ،وهو المفهوم الذي "لم يكن حاضرا في خطاب أسلافنا ولا في حقل تفكيرهم كما أنه غير حاضر في خطاب أي لغة من اللغات الحية المعاصرة التي "نستورد" منها المصطلحات والمفاهيم الجديدة علينا "[4]. وهذا ما يجعل مفهوم المصطلح أي "موروث" ثقافي فكري) وليد الفكر المعاصر ومفاهيمه الخاصة.

[1]- عبد السلام محمد الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة، بيروت ،1985، ص51.

[2]- محمد رياض وتار ،توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة .ص35

[3]- سعيد يقطين، السرد العربي (مفاهيم وتجليات)، ص29.

[4]- جابر عابد، التراث والحداثة ص23.

غـدا المـوروث العـربي الإسـلامي بالنسـبة للإنسـان المنتمـي إلى حضـارة هـذا المـوروث –هويـة وحضـارة وانتمـاء فكريـا وثقافيـا ومعرفيـا–.إنـه يشـكل ذاكـرة الماضـي الحاملـة لعصـور الازدهـار والمجـد العقائدي والفكري العقلي والممتد لتشكيل تصور معين للحياة والكون.

يتبين مما سبق أن كل أمة تسعى للحفاظ على تراثها وتأمل إلى امتلاك أدوات التطور من عمق ميراثها الحضاري فلا تستطيع أن تستغني عن عنصري التراث والرواية باعتبار هذه الأخير جنساً أدبياً يعبر عن التجربة الإنسانية من أجل تغيير الحاضر من خلال ربط الماضي بالمستقبل، فكانت الرواية إحدى أدوات التغير عن طريق الصراع والمقاومة الثقافية.

لقد نشأت الرواية الجزائرية في ظلال الحركة الوطنية فشربت من ينابيعها الصافية.

ولما كان هدف الاستعمار منصبا على طمس الهوية الجزائري، فإن أدباءنا ومفكرينا وجدوا ضالتهم في فن الرواية، فكتبوا بالغة العربية واللغة الفرنسية، كما وجدوا في التراث ينابيع تلهم تجاربهم وتعبئ طموحاتهم الفنية، فلا غرو ان نجد الرواية الجزائرية تستلهم من التراث المحلي والعالمي.

فالدارس للرواية الجزائرية وتجربة روادها يلاحظ قوة حضور التراث في عدد من تلك التجارب الروائية حضورا إيجابيا يجعلك تقارن بين الماضي والحاضر لتبني مستقبلا زاهراً.

الفصل الثاني

الهوية

تمهيد

المبحث الأول: المضامين المفاهيمية للهوية

المطلب الأول: مفهوم الهوية

المطلب الثاني: الجانب الفلسفي والنفسي للهوية

المطلب الثالث: الجانب الاجتماعي للهوية

المطلب الرابع: الجانب السياسي للهوية

المبحث الثاني: أسس الهوية وأشكالها وعناصرها

المطلب الأول: أسس الهوية

المطلب الثاني: أشكال الهوية

المطلب الثالث: عناصر الهوية

المطلب الرابع: علاقة الهوية بالتراث

المطلب الخامس: علاقة الهوية بالأدب

تمهيد:

ظهر مفهوم الهوية بداية في كتاب الفيلسوف الألماني والاجتماعي "فلهلم دلتاي" (1833م-1911م)، وقد جعله "ماكس فيبر" (1864م-1920م) على مستويين: يتعلق أولها بما يطلق عليه " دلتاي " اسم الصورة: الصورة الكونية التي تؤلف الكتلة الأساسية للمعتقدات والمسلمات الافتراضية على العالم الحقيقي الواقع، ويتعلق المستوى الثاني بالسياق التصوري، الواعي والإرادي، الذي تضع فيه الذات الجمعية نفسها ضمن تقسيمات العالم الواقعية أو المركبة من النواحي الثقافية فالأصل، لكن أيضا من النواحي الثقافية والأخلاقية والاجتماعية.

ويختلف المفهوم حسب الاطار الذي يتم تناوله فيه.

وقبل أن نلج هذا المفهوم وجب علينا أن نؤصل له في كتب التراث العربي

المبحث الأول: المضامين المفاهيمية للهوية

المطلب الأول: مفهوم الهوية

أ- الهوية عند القدامى:

جاء في كتاب " الكليات: لأبي البقاء الكفوي " أن ماهيّة الشيء هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتا، وباعتبار تشخيصه يسمى هوية، وإذا أخذ أعمّ من هذا الاعتبار يسمي ماهية "، وجاء في هذا الكتاب أيضا " أن الأمر المتعلق من حيث أنه مقول في جواب (ما هو) يسمى ماهية ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة ومن حيث امتيازه عن الغير يسمى هوية "[1].

أمّا الجرجاني فيعرف الهوية بقوله: " الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق "[2].

يشّبه الجرجاني من خلال ها النصّ الهوية بالنواة، واشتمال هذه الهوية على حقيقة الشيء وخصائصه الجوهرية كاشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، هذه النواة التي تختزل جميع الخصائص الجوهرية للشجرة، ولا يمكنها إلاَّ أن تنتج شجرة بنفس خصائص الشجرة التي انتزعت منها، وغير بعيد عن هذا المعنى نجد ابن حزم يقول: " وحدّ الهوية هو أنّ كل ما لم يكن غير الشيء فهو عينه، إذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد، فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر "[3].

وقد سعى ابن حزم وفق هذا التفكير المنطقي لتوضيح مفهوم الهوية، من خلال هذا التقابل الذي يقيمه بين ثنائية الهوية والغيرية، فالشيء إمّا أن ينتمي إلى دائرة الهوية، وإمّا ان يخرج إلى دائرة الغيرية، فلا وسطية بينهما، فمعنى الهوية هنا يستدعي بحسب مفهوم ابن حزم فكرة التطابق التام، فإن لم يتحقق هذا التطابق إلى درجة التساوي يؤول الشيء إلى دائرة الغيرية ولا تتحقق هويته.

ومن جانب آخر نجد عبد العزيز بن عثمان التويجري يشير بقوله: "إن فهمنا للهوية ينبني على تراثنا الحضاري...، ولفظ الهوية يطلق على معان ثلاثة: التشخيص، والشخص نفسه، والوجود

[1] – أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995، ص961.

[2] – الشريف علي محمد الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ، باب الهاء، ص 113.

[3] – ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، www.aleskat.com

الخارجي، وجاء في كتاب "الكليات" لأبي البقاء الكفوي، أنّ ماهية الشيء هو باعتبار تحققه يسمي ذاتا، وباعتبار تشخيصه يسمى هوية وإذا أخذ أعمّ من هذا الاعتبار يسمى ماهية "[1].

فالهوية بهذا تعبّر عن التشخيص بمعنى التمثل في صورة الشخص، وتارة تعبّر عن معنى الشخص نفسه أو الوجود الخارجي، وهي عموما معان تؤول إلى نفس المعاني التي عبّر من خلالها أرسطو عن الهوية[2].

أمّا الفارابي فيتناول الهوية بقوله: " هوية الشيء وعينيته ووحدته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له كل واحد، وقولنا إنه " هو " إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجود المتفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك، وقال الهو هو معناه الوحدة والوجود فإذا قلنا زيد هو كاتب معناه زيد موجود كاتب "[3].

هنا نلمس مجمل المعاني التي دارت في فلكها " الهوية " في التراث العربي الإسلامي

وبهذا يكون تعبير الفارابي بمثابة شرح لما عبّر عنه أبو البقاء الكفوي أعلاه، وهو بذلك يلّخص أيضا مجمل الأفكار والمعاني التي تلونت بها " الهوية " في إطار الإرث الفلسفي العربي الإسلامي، وعليه يمكننا ان نستنتج بشكل عام أن مفهوم الهوية من المنظور الفلسفي لم يبتعد فيه الفلاسفة المسلمون عمّا كان عليه في التراث اليوناني والأرسطي على وجه الخصوص والذي عبّر عن مبدأ الهوية بعلاقة المساواة (=) أي أن تحقق مبدأ الهوية يقتضي أن يكون الشيء ذاته بمعنى أ = أ.

غير أننا نجد الدكتور هيثم مناع يعلق على المعنى الذي تلبس به مصطلح الهوية قائلا: " ليس هناك ضرورة لتحميل أبي البقاء الكفوي والجرجاني ما لم يجل بخاطرهما وهما يتحدثان عن الهوية "[4].

أي أن المفهوم الذي أصبح عليه مصطلح الهوية في الفترة المعاصرة.

ويشير البعض إلى أن مفهوم " الهوية " مفهوم غربي لم تعرفه لغتنا العربية إلاّ حديثا، فالبحث المتأني في معاجمنا يشير إلى هذه الحقيقة، فالمصباح المنير والقاموس المحيط ولسان العرب تخلو من هذا

[1]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية في إطار الرؤية المتكاملة . www.islamtoday.net/files، 23 مارس 2017م، على الساعة: 11:14.

[2]- مولاي أحمد بن نكاع، رسالة دكتوراه، ملامح الهوية في السينما الجزائرية، 2013/2012، ص 43.

[3]- أبو نصر محمد بن أولزلغ بن طرخان الفارابي، التعليقات، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الركز، 1349هـ، ص 21.

[4]- هيثم مناع، صناعة الهوية، www.achr.nu/art59، 23 مارس 2017، على الساعة: 12:05.

المصطلح الحديث، إذ لا يعدو الشرح من أن تكون الهوية مستسقاة من الفعل هوى، أي سقط من علو "[1].

إن مقولة هيثم مناع لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نفسرها على أن الفكر العربي الإسلامي كان مقصرا في تناوله لمفهوم الهوية[2].

بل على العكس من ذلك تماما فالدرس العربي الإسلامي آنذاك، اهتم بالمصطلح وحاول إثراء النقاش حوله، لكن كل ذلك كان في إطار السياق العام الذي كان يسبح في فلكه المصطلح، ولأسباب عديدة نعتقد أن النقاش حول المصطلح قد توقف، شأنه شأن مجمل أوجه الحياة الثقافية التي أصبحت تتقهقر لأسباب شتَّى ليس المجال للتعرض لها ولكنّنا نشير إلى أبرز عنصر، هو التخلّف الذي سيطر على الأمة من ناحية ومن ناحية أخرى " لم تكن الثقافة العربية في عصورها الزاهرة بحاجة إلى تعريف الهوية أو القومية، بل لم تكن بحاجة إلى طرح سؤال الهوية ذاته، فلماذا تطرح سؤالا لتأكيد الذات على الرغم مما شيّدته من مجد وحضارة عربية أصيلة ومعالم هوية حضارية عربية بارزة، تدل على ترابط وتماسك حقيقي بين أبناء الأمة "[3].

إذا فالسبب واحد أو للسببين معا لم يتواصل البحث والنقاش حول مدلول الكلمة وفق السياقات الثقافية المستجدة باستمرار، وبذلك نلمس ظهور المصطلح مع بداية النهضة العربية الحديثة واهتمام كبير به بعد انقطاع التفكير حوله لفترات طويلة، ليظهر على الساحة الفكرية العربية.

ب- الهوية عند المعاصرين:

وتستعمل كلمة " الهوية " في الأدبيات المعاصرة لأداء كلمة (Identité، Identity)، التي تعبر عن خاصية المطابقة، مطابقة الشيء لنفسه.او مطابقة لمثيله، وفي المعاجم الحديثة، فإنها لا تخرج عن هذا المضمون، فالهوية هي (حقيقة الشيء، أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية، والتي تميزه عن غيره، وتسمي أيضا وحدة الذات)[4].

[1]- فاطمة الزهراء سالم، نحو هوية عربية إسلامية، دار العالم العربي، القاهرة، 2008، ص 73.

[2]- مولاي أحمد بن نكاع، ملامح الهوية 'ص 44.

[3]- فاطمة الزهراء سالم، المرجع السابق، ص 81.

[4]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، التراث والهوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، مطبعة الإيسيكو، الرباط، المملكة المغربية، 2011م، ص 20.

ويعرفها آخر ويقول: " الهوية علم معرفي مشتق من حزمة من علوم اجتماعية إنسانية نظرية وطبيعية"[1].

فهذا الغموض الذي أدّى إلي لفّ المصطلح عبر صيرورته التاريخية، وها نحن مرة أخرى نصادف شيئا من هذا الغموض الذي يحيط المصطلح في العصر الحديث بالرغم من إسهاب الفلاسفة والباحثين لتحديد وضبط المصطلح، فها هو هيثم مناع يؤكد ذلك بقوله: " ليس ثمة من تعريف ناجز ونهائي لكل من الثقافة والهوية نستطيع استعارته باطمئنان وتأسيس الكلام على معطياته "[2]، ذلك ما يذهب إليه أيضا عزيزي عبد الواحد مؤكدا ضبابية المصطلح بقوله: " ما إن تحدثنا عن الهوية بما يتحدد في ضيافة مفهوم مزعج، حده لزج، ملغز، محيّر، شائك، متشعب، هو الحد الأدنى الذي لا يستطيع أي بحث الإمساك به، إنها الذات الأكثر غنى، وثراء في تباشير الوعي الإنساني ، تتفلّت باستمرار من الضبط العلمي والفهم العقلاني، هي أكثر المفاهيم تداولا وأكثرها غموضا **و** تلونا "[3].

ونظرا لحداثة المصطلح من ناحية وانتشاره الواسع على ضفاف فروع معرفية متعددة من ناحية أخرى، بذلك بدت الهوية " كمفهوم غامض ومعقد ومتشعب، برز محركا للتحرر، عامل وحدة للجماعة، وعنصر تمايز وتباعد لها عن الآخر وهميا كان أو حقيقيا "[4].

فالتوظيف السياسي والأيديولوجي للهوية في الفترة المعاصرة، كثيرا ما جعله بمثابة المحرك الأساسي لتعبئة الجماعات وزجّها في ميدان النضال من أجل التحرر، أو الاعتراف بخصوصيتها بحجة أنها تشكل مجموعة ذات هوية واحدة، بنفس التوظيف كذلك تمكنت الهوية من توحيد أفراد وجماعات في إطار وحدة كبرى أو وعاء يستوعب هذه الجماعات، بغض النظر عن مقدار الاختلاف القائم بينهم على مستوى بعض العناصر الفرعية، غير أن هذا المفهوم وُظّف أيضا على النقيض من ذلك أحيانا أخرى، أدت إلى تمزيق وحدة الجماعة وتفتيتها بدعوى إبراز خصوصيات هذه الفسيفساء الناتجة عن انفجار الجماعة الأم[5].

[1]- الطيب عبد الجليل حسين محمود، اشكالية الهوية وبناء الدولة الوطنية المعاصرة، www.sudanpolice.goo.sdpdf/888

[2]- هيثم مناع، صناعة الهوية www.9achr.nu/art59، يوم 25 مارس 2017م، على الساعة: 10:00.

[3]- عزيزي عبد الواحد، الهوية كبحث عن الذات www.9.cim/vb/98282، 25 مارس 2017، على الساعة: 10:30.

[4]- هيثم مناع، صناعة الهوية www.9achr.nu/art59، 25 مارس 2017م، على الساعة: 14:00.

[5]- مولاي أحمد بن نكاع، ملامح الهوية في سينما الجزائرية، ص46.

إن هذا التوظيف المتعدد الأوجه الذي انخرط فيه هذا المفهوم، والذي قد يفضي إلى نتائج متباينة لدليل على أهمية المفهوم وخطورته من جهة، لكنه دليل أيضا على تعقيده وغموضه، ولتوضيح طبيعة هذا الغموض تشير كاترين هالبيرن بقولها: " اكتسح مفهوم الهوية في بحر بضعة عقود مجمل العلوم الإنسانية فقد فرض هذا المفهوم نفسه حتى غدا بمثابة كلمة سحرية، وذلك في تحليل حقائق جدّ متنوعة مثل علم الأفراد وتحولات الأديان، والعلاقات بين النساء والرجال، وموضوعات المهن، والحياة الأسرية، والهجرة، والصراعات العرقية، يشهد على ذلك ما يكتب من افتتاحيات كثيرة عن هذا الموضوع "[1].

"إن هذه المجالات التي عددتها الكاتبة تمثل الفضاء الذي تسبح فيه كلمة " الهوية "، هذه الكلمة السحرية على حدّ تعبيرها، وما اختزله من معان أهلتها لولوج هذه المجالات المعرفية المختلفة، لمعالجة الإشكالات المطروحة وتفسيرها على هذا الصعيد أو ذاك، تبعا لذلك فلا بد من أن يحمّل مصطلح "الهوية " بمضمون فكري مختلف يحدد معنى من المعاني التي تلون بها المصطلح تبعا لهذا التخصص أو ذاك، وبحسب المرجعية الفكرية والمنهج الذي ينطلق منه الباحث في دراسته للموضوع"[2].

ومن هنا تتضح لنا الصورة أكثر لتقترب من طبيعة المصطلح في وقتنا المعاصر، وطبيعة الغموض الذي يلفه ويجعله يستعصي على تعريف دقيق، كون مجمل فروع المعرفة تبنّت المصطلح ووظفته وحاولت أن تعطيه تفسيرا، من ناحية أخرى حاولت أن تفسر من خلاله بعض الظواهر الخاضعة للدراسة، وكنتيجة لهذا المناخ العام الذي يحيط بالمصطلح جعله يستعصي على تعريف دقيق يلقي الإجماع لذلك " فلا وجود لهوية ثقافية قابلة للتعريف بصفة نهائية "[3].

وفي نفس الإطار يوضح محمد العربي ولد خليفة هذه الصعوبة في توضيح المفهوم وتحديده بقوله: " سبب الاستعصاء، هو أن الهوية في حد ذاتها تعريف ولا جدوى من تعريف التعريف "[4].

ولكي يحصر المفهوم الذي أصبح عليه مصطلح: "الهوية " في وقتنا المعاصر سنحاول أن ننطلق من البدايات الأولى التي بدأت تتشكل فيها ملامح المصطلح في الفترة المعاصرة، ولتحديد ذلك نشير

[1]- كاترين هالبيرن، مفهوم الهوية: تاريخه واشكالاته، تر: إلياس بلكا، www.cjtcmay.com/shoro

[2]- مولاي أحمد بن نكاع، ملامح الهوية في سينما الجزائرية، ص 46.

[3]- محمد العربي ولد خليفة، المسالة الثقافية وقضايا اللسان و الهوية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2009، ص122.

[4]- المرجع نفسه، ص 89.

مباشرة إلى إ.إريكسون، هذا الباحث الذي كان لجهوده أثر كبير على كلمة (الهوية) " فقد انتشر مفهوم الهوية بشكل كبير في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات، ويكاد الجميع يتفقون على أن إريكسون هو أب كلمة " الهوية " بالمعنى المعاصر "[1].

بذلك يعتبر إريكسون بدء التأسيس للمعنى الاصطلاحي الذي أصبحت عليه " الهوية " في وقتنا المعاصر، الشيء الذي يجد قبولا وإجماعا في الأوساط العلمية، وهو ما تؤكده أيضا الباحثة كاترين هالبيرن بقولها: " لقد قام عالم النفس إريكسون بدور مركزي في انتشار استخدام هذه الكلمة وتوسيع شعبيتها في العلوم الإنسانية، وفي سنوات الثلاثينات عمل إريكسون في المحميات.

وهناك مفاهيم وجوانب أخرى للهوية نذكر منها:

المطلب الثاني: الجانب الفلسفي والنفسي للهوية:

تولي الدراسات الفلسفية كثيرا من اهتماماتها بذات الفرد وتفاعلها مع الآخرين، (وتعد نظرية التوحد Identification Theory) من أهم المداخل النفسية التي سعت لتفسير الهوية فقد لاحظ أصحاب هذه النظرية ان البشر يشتركون دائما معا في غرض أساسي يحثهم باستمرار على توحدهم معا لحماية هويتهم، وانهم من خلال هذا التوحد يرتبطون معا في عدد من السمات النفسية المتشابهة ليحافظوا على هويتهم، ويعملوا على تقويتها والدفاع عنها، إن الفشل في تحقيق ذلك له أضراره البالغة على الفرد والمجتمع.

وفي المعجم الفلسفي: الهوية Identity هي حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمي أيضا وحدة الذات [2].

والهوية أيضا كمبدأ فلسفي تعبر عن ضرورة منطقية بعينها تؤكد أن الموجود هو ذاته دوما لا يلتبس به ما ليس منه فهو ذاته كما تقول الفلسفة (مبدأ الهوية Identity Principle) فالشخص هو هو مهما اعتراه من تغيرات، فالأمر الذي يشير إلى أهمية ادراك العمليات اللاشعورية

[1]- زكريا نوار، خطوة نحو التأسيس .... الأدب والانتماء www.kalema.net/v1

[2]- سعيد اسماعيل علي، الهوية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، ط1'2005، ص24.

والتسليم بها، فالإنسان هو بمجمل شعوره ذلك ولا شعوره، ذلك الشعور الذي يجسد دورا أساسيا في نشأة الهوية.

وقد أكد " إريكسون " حينما وصف الهوية بأنها ذات تأثير متزامن على كافة مستويات الوظيفة العقلية التي يستطيع المرء أن يقيم نفسه من خلالها في ضوء إدراكه لما هو عليه، وفي ضوء إدراكه لوجهة نظر الآخرين عنه وأنها عملية نفسية اجتماعية دائمة التغير والنمو[1].

المطلب الثالث: الجانب الاجتماعي للهوية:

"يعتبر مفهوم الهوية من المفاهيم الاجتماعية التي حفل بها التراث الاجتماعي التربوي، فقد عرفها " ميلر " بأنها نمط الصفات الممكن ملاحظتها أو استنتاجها والتي تظهر الشخص وتعرفه وتحدده لنفسه وبالآخرين، وبهذا قسم " ميلر " الهوية إلى الهوية الذاتية Self Identity أي الشخص كما يرى نفسه، والهوية العامة الذاتية Self Public Identity أي الشخص كما يتصوره الأخرين، والهوية العامة الموضوعية Self Identity أي الشخص كما يراه الآخرون"[2].

وتذهب بعض التعريفات إلى ان الهوية الاجتماعية هي تلك السمات الخاصة بمفهوم الذات الفردية من خلال علاقاتها بالجماعة التي يتعايش معها الفرد، في ظل وجود ارتباطات عاطفية وتقييمية وغيرها من ارتباطات سلوكية تربط الفرد بجماعته، وتؤكد انتماء الفرد وولاءه للجماعة التي يعيش معها أو هي الشفرة (CODE) التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه من علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وعن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة، وهي شفرة تتجمع عناصرها على مدار تاريخ الجماعة من خلال تراثها وطابع حياتها، ويوضح ذلك تعريف بعضهم للهوية بأنها الولاء أي معرفة وادراك الفرد لنفسه وتعني كذلك الانتماء لحضارة ما أو ثقافة أو دين او أسرة أو وطن أو مكانة اجتماعية معينة فهي تحدد ما ينتمى إليه[3].

وعلى هذا فإن الهوية من المنظور الاجتماعي هي الشعور بالانتماء إلى أمة ما والاندماج في تفاصيل طابعها القومي، وفي الحياة اليومية للفرد والجماعة، والهوية بذلك شعور عقلي ووجداني

[1] – محمد عبد الرؤوف عطية، التعليم وازمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع،القاهرة،2009،، ص24.

[2] – المرجع نفسه، ص27.

[3] – المرجع نفسه، ص28.

تتحقق بتحقيق الذات في الوجود الجماعي للأمة كلها دون انفصام أو انفصال عنه وفي هذه الحال يناط بالهوية مسؤوليه المحافظة على القيم الثقافية التي تحدد قيم المجتمع.

"وتشير إلى مستواه الحضاري، وكذلك المحافظة على مجموعة الصفات والخصائص التي تميز مجتمعا ما عن غيره من المجتمعات الأخرى"[1].

"إنها أيضا مجموع الصفات أو السمات الثقافية العاملة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى أمة من الأمم، هذه السمات يعرفون بها ويتميزون عن سواهم من أفراد الأمم الأخرى"[2].

المطلب الرابع: الجانب السياسي للهوية:

"استخدم مصطلح الهوية السياسية في الخطاب السياسي والأكاديمي في الولايات المتحدة الأمريكية المتحدة منذ 1970 م الهدف كان واحدا من سياسيات الهوية إلى تمكين المقهورين للتعبير عن الظلم من حيث الخبرة الخاصة بهم، في عملية زيادة الوعي السياسي الذي يميز الهوية من التصور الليبرالي في السياسة حسبما تمليه المصلحة الذاتية الفردية سياسة الهوية هي الظاهرة التي ظهرت لأول مرة على هامش جذري في المجتمعات الديمقراطية الليبرالية التي يتم فيها الاعتراف بحقوق الانسان وهو ليس مصطلح يستخدم عادة للإشارة إلى الحركات المعارضة داخل الدول ذات الحزب الواحد أو سلطوية"[3].

تشير مسألة الهوية من المنظور السياسي إلى الطابع القومي National Character أو القومية Nationalism المشتقة من مفهوم الأمة Nation، وفهم العلاقة بين هذه المفاهيم يستلزم التعرض لها إجمالا.

فالطبع Character يعرف بأنه " مجموعة الاتجاهات أو الخصائص والصفات السلوكية شبه الدائمة التي تميز الفرد او الجماعة من الناس والتي تكونت نتيجة عمليتي التنشئة والتفاعل الاجتماعي

[1]- سالم لبيض، الهوية، الإسلام، العروبة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،2009، ص32.

[2]- اسماعيل تاجي، مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرياته للهوية الجزائرية، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص114.

[3]- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، Identity politce, www.wikipedia.org، تصفح بتاريخ: 2017/02/02،

والثقافي، وبهذا المعنى يعتبر مفهوم الطبع امتدادا لمفهوم الشخصية Personality والتي تعبر عن التنظيم الدينامي المتكامل لخصائص الفرد الفيزيقية والعقلية والخلقية والاجتماعية التي تحدد سلوكه وفكره المميزين عندما يعبر عن نفسه أمام الآخرين في مظاهر الأخذ والعطاء في الحياة الاجتماعية[1].

[1] – محمد عبد الرؤوف عطية، المرجع السابق، ص29.

المبحث الثاني: أسس الهوية وأشكالها وعناصرها

المطلب الأول: أسس الهوية:

من خلال هذه الجولة التي حاولنا أن نلامس من خلالها بعض المصطلحات و طبيعة علاقتها بمفهوم الهوية الجمعية، نسعى الآن للتعرض لهذا المفهوم من خلال محاولة تفكيكه إلى عناصره الأولية المشكلة له، ومن أجل تحقيق ذلك سنورد جملة من الآراء المعبرة عن أهم هذه المكونات المشكلة للهوية، فبداية مع محمد الهرماسي بقوله: " يبدو لنا أن الدين واللغة والثقافة هي أبرز مكونات الهوية[1]، وهي نفس العناصر التي يؤكد عليها أيضا محمد ولد خليفة بقوله: " ويمثل الثلاثي المتكون من اللغة والدين والثقافة المرجعية الأساسية والحدود السيكولوجية للجماعة وشخصيتها القاعدية "[2].

بهذا نستنتج الثلاثي المشكل من الدين واللغة والثقافة، يعد من بين أهم الركائز التي يقوم عليها مفهوم الهوية، ولكن فاطمة الزهراء سالم تضيف على ذلك عناصر أخرى بقولها: " ينتج عن تحديد الهوية وأركانها من لغة وثقافة وتعليم وقيم ومبادئ، توحد مع هذه الأركان "[3].

بذلك يمكننا إدراج التعليم والقيم والمبادئ تحت مسمى الثقافة كما هو معبر عنه من قبل، ليكون هذا التعريف تأكيدا لما سبق.

وقد أضاف عبد العزيز بوراس عناصر أخرى بقوله: " إن عناصر الهوية حسب جلّ الباحثين تتحدد في ثلاثة أبعاد: الشعب، الأرض، واللغة "[4]، إن عبد العزيز بوراس يشير إلى عنصر الشعب وهذا الشيء طبيعي فلا نستطيع أن نتحدث عن الهوية في غياب الجماعة، وللحديث عن هوية هذا الشعب، فبالإضافة إلى عنصر اللغة الذي ورد سابقا نجده يشير إلى عنصر الأرض باعتباره الحيز الجغرافي الذي تتواجد عليه الجماعة ، وهو العنصر الذي يشير إليه أيضا محمد مسلم في جملة العناصر التي يوردها وأهمها (الثقافة، الدين، الوطن، الأمة، العرق)[5]، فبالإضافة إلى مجمل العناصر المشار إليها

[1]- محمد صالح الهرماسي، مقاربة في اشكالية الهوية العروبة والاسلام، سلسلة الثقافة الاسلامية دار الفكر،دمشق،ص27.

[2]- محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق، ص109.110.

[3]- فاطمة الزهراء سالم، المرجع السابق، ص 78.

[4]- عبد العزيز بوراس، الوحدة والتنوع في الهوية المغربية، المرجع السابق، ص17.

[5]- محمد سالم، المرجع السابق، ص114.

سابقا نجده يذكر الوطن وهو ماعبر عنه بوراس بالأرض، وكذا الأمة، لكنه يضيف عنصرا جديدا يدخل ضمن مكونات هوية الجماعة وهو العرق.

أما فتحي التركي فيقول: " عن أخذ التاريخ في الاعتبار بصفته صيرورة، هو العنصر الرئيس لكل صورة عن الهوية سواء كانت فردية أو جماعية "[1].

من هنا يمكننا ان ندرج أيضا عنصر التاريخ إلى جانب العناصر المذكورة سابقا باعتباره عنصرا قويا من العناصر المشكلة للهوية، كما نجد عباس الجراري في تحليله للعناصر المكونة للهوية يقدم لنا حزمة من هذه الأسس فبحسب رأيه، تتشكل الهوية من أربع مكونات او مقومات:

أولا: تبدأ من البيئة أي من الوطن في جانبيه الطبيعي والبشري، بما يعنيه من تنوع وتعدد والمعروف ما لكل وطن في نفس ابنائه من تعلق وتفان وافتداء.

ثانيا: تأتي اللغة باعتبارها أداة للتواصل بين سكان هذا الوطن.

ثالثا: التراث ببعديه الثقافي والحضاري، وفي سياقه الرسمي والشعبي، وما أبدعته الأجيال المتعاقبة.

رابعا: الدين والتفاعل مع روحه [2].

وبهذا نجده يلخص مجمل العناصر التي تمت الإشارة إليها، وهو بذلك يؤكد أيضا على أن هذه العناصر هي التي تحظى بالإجماع في مجال البحث عن مكونات الهوية، فبدء بالبيئة في جانبيها الطبيعي والبشري إلى اللغة والدين وكذا التراث ببعديه الثقافي والحضاري في سياقة المدرسي والشعبي، تعد كلها من بين أهم الأسس التي تقوم عليها الهوية، كما نجد إبراهيم القادري يحاول أن يلخص لنا هذه العناصر بقوله: " على العموم فإن مكونات الهوية الإنسانية تنسج وجودها عبر شبكة من العلائق التي تندرج في الخانات الحضارية والمشتركات التالية:

-مجال جغرافي ووطن تاريخي مشترك.

-أساطير وذاكرة تاريخية مشتركة.

[1]- فتحي التركي، الهوية ورهاناتها، تر: نور الدين السافي و زهير المدني، الدار المتوسطة للنشر، تونس 2010، ص44.

[2]- أنظر: عباس الجرار، هويتنا والعولمة، النادي الجراري، الرباط، 2000، ص 12-13-14.

-ثقافة شعبية مشتركة.

-منظومة حقوق وواجبات مشتركة.

-اقتصاد مشترك مرتبط بمناطق معينة "[1].

إن هذا التعريف الأخير وإن كان يؤكد جملة العناصر السابقة المشكلة للهوية الجمعية، سواء ما تعلق بالمجال الجغرافي أو التاريخي إلاَّ أنه يضيف عناصر فرعية أخرى تدخل في النسيج العام لمفهوم الهوية وقد ركز على بعض العناصر منها: الأساطير، الثقافة الشعبية، منظومة الحقوق والوجبات والاقتصاد المشترك.

فهذه العناصر المعبر عنها لها أهمية بالغة في تشكيل ملامح هوية جماعة ما، فالأساطير التي تشكل خيال الأمة وتحاول ان ترسم صورة مثالية لأبطال يتبناهم أفراد الجماعة، وكذا مجمل فنون الثقافة الشعبية باعتبارها إرث حضاري للجماعة أو الأمة،، تنتقل من جيل إلى جيل بالوراثة، وهي عملية أساسية ركزت عليها العديد من التعريفات المتعلقة بالهوية، إلى جانب الاقتصاد المشترك والذي يعبر عنه البعض بالمصير المشترك لأن الأقتصاد المشترك يوحي بفكرة المنفعة العامة لأفراد الجماعة في الحاضر واستمرارها في المستقبل، بهذا المنظور يكون هذا العنصر معبرا عن المصير المشترك للجماعة وإن تمثل في جانبه المادي، ولاشك أن انتعاش اقتصاد الجماعة سيكون له آثار ايجابية على أفرادها والعكس صحيح.

وإذا رجعنا "لحسن عالي" نجده يحدد عناصر الهوية كالتالي: " تتكون الهوية من عناصر مهمة قد تتشكل الهوية من بعض هذه العناصر، وأهم هذه العناصر هي:

1- الدين.

2- الثقافة وتشتمل على: اللغة – الفن والفلكلور الشعبي – القيم والعرف[2].

[1]- ابراهيم القادري بو تشيش، حول مفهوم الهوية ومكوناتها الأساسية .www.histoire.makobblog.com

[2]- حسن عالي: الهوية ودورها في البناء الفكري، www.swmsa .net

"بهذا نجده يركز على بعض العناصر المذكورة سالفا، لكنه يضيف عناصر فرعية قد تكون لها أهميتها كالفن والفلكلور الشعبي والقيم والعرف، فحتى وإن لم تذكر يعض هذه العناصر صراحة في التعريفات السابقة إلا أنها مذكورة ضمنيا كلما عثرنا على إشارة إلى الثقافة الشعبية، وعليه يمكننا أن نقول أن جميع الفنون وآداب الثقافة الشعبية قد يكون لها أثرا بارزا في تشكيل الهوية الجماعية"[1].

خلاصة: يمكننا أن نلخص ما تمت الإشارة إليه من خلال الرجوع إلى أليكس فيما رآه من عناصر مكونة للهوية بحيث نجد المؤلف يشير في إطار حديثه عن العناصر الخاصة بالهوية إلى عدد كبير من التفاصيل يمكننا تلخيصها فيما يلي:

– الأصول التاريخية ويدرج في إطار هذا العنصر الأسلاف، الخرافات الخاصة بتكوين الأبطال الأوائل.

– الأحداث التاريخية الهامة ويشير فيه إلى المراحل الهامة في التطور والتحولات الأساسية والآثار الفارقة، التربية والتنشئة الاجتماعية.

– الآثار التاريخية ويدرج ضمنه كل من العقائد والعادات والتقاليد والعقد الناشئة عن عملية التطبيع أو القوانين والمعايير التي وجدت في المرحلة الماضية.

عناصر ثقافية فنية: وتشتمل:

النظام الثقافي: اي المنطلقات الثقافية، العقائد، الأديان والرموز الثقافية، الايدلوجيا والنظام القيم الثقافية، ثم أشكال التعبير المختلفة (فن، أداب...).
العناصر العقلية: وفيها النظرة إلى العالم، نقاط التقاطع الثقافية، المعايير الجمعية، العادات الاجتماعية.

النظام العرفي: السمات النفسية الخاصة، اتجاهات نظام القيم إلى جانب هذا يشير أيضا إلى عنصر الذهنية.

بهذا نجد أليكس يحاول أن يبسط في مجال تحليل مفهوم الهوية إلى مكوناتها الأساسية وتحديد عناصره التي يقوم عليها، من خلال جرد عدد كبير منها، وقد نلخص اهم هذه العناصر فيما يلي،

[1]– أليكس ميكشللي، المرجع السابق، ص 26.

وإن كان بعضها يتكرر من عنصر إلى آخر: الأصول التاريخية وفيه دلالة على الجانب البيولوجي أو العرقي للجماعة، وفي إطار نفس العنصر نجده يدرج الأسلاف والأبطال الأوائل والخرافات الخاصة بالتكوين إن وجدت، وهذه العناصر تشير بشكل أو بآخر إلى الثقافة الشعبية لهذه الجماعة وما تناقلته الأجيال من خرافات وأساطير نسجت حول أبطالهم وأسلافهم الأوائل والصيغ الخرافية لنشأة هذه الجماعة، لينتقل إلى عنصر الأحداث التاريخية الهامة، وهنا إشارة واضحة إلى تاريخ الجماعة وخاصة الأحداث الهامة في هذا التاريخ، وكذلك الثقافة الشعبية لهذه الجماعة التي يعبر عنها بالآثار التاريخية التي بصمت تاريخ الجماعة الايجابية منها و السلبية، ثم يعود إلى عنصر الثقافة بشقيه الثقافة العالمة إن صح التعبير والثقافة الشعبية، ثم يذكر عنصر الذهنية والذي يعتبره من بين العناصر المؤسسة للهوية.

بهذا نكون قد حاولنا التطرق إلى أهم العناصر المكونة للهوية من خلال هذا المسح العام الذي رصد في إطاره أهم التعريفات التي أشارت لأهم عناصر الهوية، ومن ثم نحاول أن نلخص هذه العناصر في شكل نقاط، وهي:

اللغة.

الثقافة والتعليم.

التاريخ بما يشمل من أحداث تاريخية هامة، وهو يمثل الماضي المشترك للجماعة.

البيئة الجغرافية.

ثقافة شعبية مشتركة بما تتضمنه من: فن – فلكلور شعبي – خرافات – أساطير – رموز ثقافية – زي شعبي – العادات والتقاليد...

القيم والعرف

المصير المشترك للجماعة الذي يدعم اتحاد وترابط أفرادها بما يتضمن كينونتها.

الذهنية.

بهذا نكون قد لخصنا مجمل العناصر التي تقوم عليها الهوية، والتي تعد بمثابة الأسس التي تشكل هوية الجماعة، وتصبغها بألوان محددة، ليبرز اللون المميز لهوية ما بحسب تفاعل هذه العناصر فيما بينها، وسيادة عنصر محدد أو عناصر محددة في جماعة ما عن غيرها، نتيجة عوامل قد تساعد على بروز عناصر في مقابل عناصر أخرى، كبيئة محددة ساهمت في بروزها، أو أحداث خاصة عاشتها الجماعة.

المطلب الثاني: أشكال الهوية.

أ- الهوية الجماعية:

على اثر التغيرات الجذرية التي حدثت في الشرق الأوربي وبالتحديد في الاتحاد السوفياتي السابق وتفكك جمهورياته في آسيا الوسطى والقوقاز سلط الضوء على مفاهيم ومصطلحات سياسية واجتماعية كانت قائمة إلاَّ أنها غابت عن الدراسات السياسية والاجتماعية ومن بينها مصطلح الهوية الجماعية، "إذ يمكن القول بأنها هوية مجموعة بشرية أو شعب كامل ما تمثل ذلك الانتماء الجماعي الموحد لأفراد وفئات أي منهما، فإعلان هذا الفرد أو تلك الفئة أنه جزائري او انها فرنسية يعني أن هذا الشخص ينتمي إلى بقية الجزائريين في صفات وأشياء تكون الهوية الجزائرية ، وكذلك تكون الهوية الفرنسية أو الإنجليزية، وإن الدراسات الحديثة في العلوم الاجتماعية رأت ان العرق، الثقافة، الدين، الأرض، الدولة هي العوامل الرئيسة التي تحدد هوية الشعوب، فمن حيث لون البشرة تقتسم الاجناس الى خمس أجناس كبرى: الأبيض، الأسمر، الأصفر، الأحمر، والجنس الأسود، وعلى المستوى الجماعي فلون البشرة يمثل احد ملامح الهوية الجماعية من الشعوب أو المجموعات البشرية كما في لون البشرة السوداء في المجتمع الأمريكي بشكل خاص".[1]

وفيما يتعلق بالثقافة كعامل لتحديد هوية الفرد والجماعة، فإن اللغة تبرز كأهم عنصر من العناصر المكونة لظاهرة الثقافة وتلعب دورا في توحيد الانتماء الجماعي مثلما تلعبه في الهوية القومية للأمة العربية، والهوية الجماعية لمقاطعة "كيو بيك" في كندا إضافة على ذلك فان للمكان الجغرافي - (الأرض) كعنصر في اذكاء الشعور بالانتماء على هوية جماعية واحدة، كما أن للدين دورا حاسما في تعزيز الهوية الجماعية وتقوية ملامحها المشتركة.

[1]-ينظر اليكس مكشيلي، مرجع سابق، ص41.

وكل هذه العوامل أو العناصر الأساسية في تشكيل الهوية الجماعية لا يمكنها أن تتبلور إلا في إطار الدولة الأمة على حد التعبير الفرنسي، تؤدي دورا مباشرا ومؤثرا في ملامح الهوية الجماعية لشعوبهم وأحيانا تعمل على طمس وتهميش بعض الهويات الجماعية (الدينية، العرقية.....)، الأمر الذي يؤدي في النهاية الى تفجير البركان واندلاع الحرب الأهلية كما حصل في البلقان والقوقاز وغيرها.

ب- الهوية الفردية:

"ويشير مفهوم الهوية في الأصل الى الهوية الفردية، ويعني إدراك الفرد نفسيا لذاته ولكن هذا المفهوم أخذ يتسع تدريجيا داخل العلوم الاجتماعية والهوية الثقافية والهوية العرقية "السلالية" وهي مصطلحات تشير الى توحد الذات مع وضع اجتماعي معين أو تراث ثقافي معين أو مع جماعة سلالية، ويمكن الحديث أيضا عن الهوية الجماعية بمعنى التوحد أو الادراك الذاتي المشترك الذي يكون بين جماعة من الناس"[1].

ج- نظرية الأنا والآخر:

"الآخر بالنسبة للأنا كمجتمعات عربية إسلامية هي الدول الاستعمارية المتفوقة في جميع الجوانب اخترقت ولازالت تخترق الوطن العربي اختراق وسيطرة كاملة وواضحة، عملت على خلق هذه الأوضاع المتخلفة في الوطن العربي، واتخذت صور وأساليب متعددة للتدخل وإعاقة التنمية والتحديث في الوطن العربي ودعم البنى التقليدية من قبيلة وعشيرة وطائفة ومذهب"[2].

"إن من يندرج تحت عنوان الاخر أو هم أولئك الآخرون بما يحملون من صفات وخبرات لم يكن باستطاعتنا ان نكونها وبين من يندرج تحت عنوان الأنا الذي ينتمي لمجتمعات وعوالم أخرى غير

[1]- باسم رزق عدلي مرزوق، الهوية الافريقية في الفكر السياسي الافريقي دراسة مقارنة، المكتب العربي للمعارف، لقاهرة، مصر، ط1، 2005، ص13.

[2]- حسين أحمد غروان، التنمية والتحديث في الوطن العربي، صنعاء، مطابع المتفوق، 2005، ص 149.

التي عاشها هؤلاء، أي يجد الفرد نفسه يعيش بين هويته التقليدية المنبثقة من التاريخ والثقافة وبين هوية الآخر المتسمة بالمدنية الغربية والحداثة"[1].

د- الهوية الثقافية:

"المقصود بالهوية الثقافية تلك المبادئ الأصلية السامية والذاتية النابعة من الأفراد والشعوب وتلك هي ركائز الإنسان التي تمثل كيانه الروحي والمادي بتفاعل صورتي هذا الكيان لإثبات هوية أو شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعوب، بحيث يشعر كل فرد بانتمائه الأصلي لمجتمع ما يخصصه ويميزه عن باقي المجتمعات الأخرى، والهوية الثقافية تمثل كل الجوانب الحياتية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية والمستقبلية لأعضاء الجماعة الموحدة التي ينتمي إليها الأفراد بالحس والشعور الانتمائي لها "[2].

إن الهوية الثقافية هي تلك الحصيلة المشتركة من العقيدة الدينية واللغة والتراكم المعرفي وانتاجات العمل والفنون والآداب والتراث والقيم والتقاليد والعادات والأخلاق والتاريخ والوجدان ومعايير العقل والسلوك وغيرها من المقومات التي تتمايز في ظلها الأمم والمجتمعات.

"هذه العناصر ليست ثابتة بل متحركة ومتطورة باعتبارها مشروعا آنيا ومستقبليا يواكب مستجدات العصر وهي قابلة للتأثير والتأثر كما يوجد قدر كبير من الثقافة الإنسانية المشتركة نتيجة التواصل والتفاعل بين ثقافات الأمم المختلفة، يوجد قدر خاص يحفظ هوية كل مجتمع من المجتمعات"[3].

وللهوية الثقافية عدة جوانب وعناصر تخص الشعوب والأفراد وأهمها[4]:

- "العقيدة أو الدين، يعد الدين أول عنصر من عناصر الهوية الثقافية، لعل العولمة الثقافية منافية تماما للإسلام في إطار الحرب ضد الإسلام وحرب الديانات بحيث يدرك الغربيون الصليبيون والصهيونية أن

[1] -رعد عبد الجليل علي، التنمية السياسية مدخل للتغير، ط1، دار الكتاب الوطنية، ليبيا، 2002، ص124 .

[2] - محمد زغو، المرجع السابق، ص94.

[3] - بشير خلف، الهوية والعولمة، www.ahewwar.oeg، تم التصفح يوم: 2017/04/14.الساعة:05:00

[4] عبد السلام الميسري، الهوية والأمن اللغوي، المركز العربي للأبحاث دراسات السياسات، بيروت، لبنان، ط1، يوليو 2014، ص 89.

استعادة المسلمين لهويتهم وانتمائهم القرآني أنه أكبر الأخطار وعليه فكل قوى التغريب تعمل ضد هذا الاتجاه وذلك باسلوب الغزو الثقافي المتمثل في الاستشراق والتنصير"[1].

– اللغة تعد اللسان الأساسي للهوية الثقافية للأفراد او الشعوب وهي عامل بين اختلاف ثقافة عن أخرى وهي أسلوب للتواصل وللاحتكاك واثبات الهوية وتأكيد وجودها.

– التاريخ والماضي، بحيث يمثل التاريخ والماضي المشترك للأفراد او لشعب ما عنصرا يعبر عن هوية أساسية فالتاريخ يبين الاستعمار المتجدد في العولمة الثقافية والتاريخ هو من بين عناصر الهوية، باعتباره يدرس الماضي ويقف على الحقائق وتستند إليه الدول والشعوب لبناء الحاضر والتطلع إلى المستقبل.

– العادات والتقاليد والأعراف، هذه المجالات هي من صميم المجتمعات من خلال اتباع سلوكيات معينة والتصرف والتعامل وفقا لثقافة تنظمها العادات والتقاليد والأعراف.

– العقد الاجتماعي والعقد السياسي، بحيث لكل دولة عقد اجتماعي من خلال مبادئ وثوابت المجتمع فيها وما يطابقه من طموح وتصور سياسي مبني على مرجعية العقد الاجتماعي وخاصة ان الدولة تعبر عن هويتها الثقافية في المجتمع الدولي من خلال دستور أو قانون له الوجه الاجتماعي والسياسي، بحيث الإرادة الثقافية للأفراد تكون مكفولة في الوجه السياسي الذي يعبر عنه.

– فلكل شعب أو دولة نظرة خاصة لمفهوم الثقافة والحقوق والحريات المختلفة، ففي الاسلام تختلف الحقوق والحريات عن تلك الموجود في الوضع الإنساني كالتي يصدّرها الغرب إلى الدول العربية والفقيرة من حقوق الإنسان المزيفة والديمقراطية الغربية ، فثقافة حقوق وحريات الغرب هي ثقافة المادة لا الروح .

– الأدب والفنون، حيث كل مجتمع له أدبه وفنونه التي يزخر بها، والتي تميزه عن غيره من المجتمعات والتي تكون معبرة عن هويته الثقافية من خلال ثقافة التعبير القصصي والشعر وفنون التشكيل والرسم والمسرح والتمثيل وفن العمران وغيرها وكل رسالة يريد ابلاغها للغير.

– طريقة التفكير، يعد التفكير العنصر الحساس في أي ثقافة، فطريقة تفكير المسلم غير طريقة تفكير الغربي ومثال ذلك أن المجتمع المادي يفكر بطريقة مادية واستهلاكية، وهنا يتجلى المجال التربوي، فهناك التربية الدينية والتربية الروحية والتربية المادية وغيرها.

[1]– خالد بن عبد الله قاسم، العولمة وأثرها على الهوية، www.,islamtoday.net، تم التصفح يوم: 2017/04/14.الساعة:05:00

المطلب الثالث: عناصر الهوية:

"أيا كان المستوى فإن الهوية الإنسانية فردية كانت أو جماعية، تتضمن مجموعة من العناصر يمكن الإشارة إليها فيما يلي" [1]:

أ- العناصر المادية والفيزيائية: وتشمل على الحيازات، القدرات (الاقتصادية، العقلية) التنظيمات المادية الانتماءات الفيزيائية والسمات المورفولوجية.

ب- العناصر التاريخية: تتضمن الأصول التاريخية مثل (الأسلاف، الولادة، الاسم المبدعين، الاتحاد...) الأحداث التاريخية المهمة، الأثار التاريخية (العقائد، العادات والتقاليد..)

ج- العناصر الثقافية والنفسية: تتضمن النظام الثقافي مثل (العقائد، الأديان، الرموز الثقافية والايديولوجية ونظام القيم الثقافية وأشكال التعبير الأدبي والفني، ثم العناصر العقلية مثل "النظرة إلى الأمام، نقاط التقاطع..."، ثم النظام المعرفي ويتضمن السمات النفسية الخاصة اتجاهات نظام القيم.

د- العناصر النفسية الاجتماعية: تتضمن الأسس الاجتماعية مثل "الاسم والسن والجنس والمهنة والسلطة والدور الاجتماعي والأنشطة والانتماءات ثم القدرات الخاصة بالمستقبل مثل "القدرة والإمكانات والإثارة الاستراتيجية والتكيف ونمط السلوك"".[2]

المطلب الرابع: علاقة الهوية بالتراث

"يبرز التراث والهوية كعاملين أساسيين مترابطين ترابطا وثيقا، فلا هوية بدون تراث تستند إليه، ولا تراث إذا لم يؤسس للهوية، فهما عنصران متلازمان من عناصر الذات متكاملان من مكونات الشخصية الفردية والجماعية، فكل أمة لها تراث معلوم تعرف به أو مجهول بالحاجة للكشف عنه، ولها هوية تتميز بها بين الأمم الأخرى، سواء أكانت عارفة بهويتها هذه، أم كانت جاهلة أو غافلة عنها"[3].

فالتراث والهوية متجذران في اللاشعور فعلاقة الإنسان العربي بتراثه علاقة عضوية حيث أن هويته القومية برمتها تتغذى من التراث لارتباطه في وعيه بالأبعاد الحضارية والتاريخية والدينية

[1]- سعيد اسماعيل علي، المرجع السابق، ص28-29.

[2]- سعيد اسماعيل علي، المرجع السابق،ص30

[3]- محمد العابد الجابري، نحن والتراث، المركز العربي الثقافي، بيروت، 1993،ص22.

والسياسية على حد السواء، متعلقة بما يختزنه ماضيه من انجازات عملية وأدبية وفلسفية، أشد من تعلق أي إنسان آخر بتراثه شرقا وغربا.

"أي أن الإنسان العربي ينتمي انتماء كليا إلى تراثه و يتماهى فيه معنويا دون تحفظ حيث يعتبر بأن تعلقه به هو امتداد لتعلقه يتصوره للدنيا والكون ولما بعد الحياة"[1].

فيتخذ التراث بعدا روحيا ونفسيا مما يضعه خارج دائرة التفكير وداخل دائرة التقليد.

المطلب الخامس: علاقة الهوية بالأدب

اهتم الأدب دائما بالأسئلة المتعلقة بالهوية، كما تضع الأعمال الأدبية ضمنيا أو صراحة، مخطط بالأجوبة عن هذه الأسئلة، هذا ما نستشفه في الشخصيات التي يشغلها السرد، من حيث أنها تحدد ذواتها وتتحدد بالترابطات المتنوعة لماضيها والخيرات التي تتخذها، القوى الاجتماعية[2] .

"فالقارئ الجاد. لرواية " الشمعة والدهاليز " للأديب الجزائري " طاهر وطار " يرى المصل الأوديبي، ويطعم به احدى شخصيات عمله الروائي هذا حتى يتمكن من الاشارة لمرحلة تاريخية واجتماعية أفرزت اللاّمألوف من سلوكيات وأنبتت المنبوذ. من التعصب فنجدها تسمي نفسها عمار بن ياسر، فهي تستعير هذا الاسم من التاريخ الإسلامي"[3] .

"كذلك الأوديسة يلقب أديسسيوس (بليتربس) متعدد الأشكال ولكنه يحدد نفسه في صراعه لإنقاذ نفسه وزملائه في السفينة، لكن يعود إلى إيتاكا من جديد وفي مادام بوفار لفلوبير تكافح اما لتحديد نفسها أو لتجد ذاتها، بالعلاقة مع قراءتها، الرومانتيكية ومحيطها المبتذل"[4].

"كما نجد كذلك الطاهر وطار في روايته "اللاّز" يتحدث عن الذاكرة الجماعية إلا أن لكل من تلك التفاصيل هويتها التاريخية الواضحة، وتمايزها الاجتماعي إذ نلمس كيف استطاع الكاتب ان

[1]- ينظر بشير خلف، www.ahewwar.oeg

[2]- جوناثان كالر، تر: رشاد عبد القادر، مجلة الموقف الأبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب بدمشق، ع 381، كانون الثاني، 2003.

[3]- علي ملاحي، هكذا نتكلم، طاهر وطار، كنوز الحكمة، 2011،ص315.

[4]- جوناتان كالر، مجلة الموقف .

يعبر عن موقفه من الواقع المعيش الذي هو ناتج عن تلك التجاوزات والمتناقضات التي عاشتها مراحل الثورة"[1].

"فالأعمال الأدبية تعتبر نطاقا واسعا من النماذج المعبرة عن الكيفية التي تتشكل بها الهوية ونجد في مقدمتها السرديات"[2].

وما يمكن ان نخلص إليه هو أن التطورات التاريخية والعوامل الاجتماعية المتراكمة والموروث الثقافي والحضاري ساهمت على نحو جلي في تأسيس الهوية.

كما وضحنا علاقة التراث بالهوية باعتبارهما عنصران متلازمان، فلا تراث إذا لم نميز هويتنا، ولا هوية لمن لا تراث له فهما المرجع الحقيقي للإنسان وانتمائه وهذا ما برز جليا في الأدب، وجعل من الهوية والتراث شغله الشاغل، وخاصتا فن الرواية وذلك من خلال توظيفهما للشخصيات والتاريخ وغير ذلك.

[1]- علي ملاحي، هكذا نتكلم، طاهر وطار، ص141.

[2]- جوناتان كالر، مجلة الموقف .

الفصل الثالث

"البيت الأندلسي" دراسة تطبيقية

تمهيد

المبحث الأول: الكاتب وأعماله

المطلب الأول: التعريف بالكاتب

المطلب الثاني: ملخص الرواية

المبحث الثاني: الدلالة التراثية للعناوين

المطلب الأول: العناوين الفرعية وتتجزأ إلى جزئيين هما

المطلب الثاني: العناوين الموسيقية في الرواية

المطلب الثالث: استلهام التراث العالمي

المبحث الثالث: التوظيفات في الرواية

المطلب الأول: تفعيل التراث الشعبي في "البيت الأندلسي" وعلاقته بالهوية

المطلب الثاني: توظيف التراث الديني وعلاقته بالهوية

المطلب الثالث: توظيف اللغة الأجنبية

المطلب الرابع: توظيف التاريخ في رواية البيت الأندلسي

المطلب الخامس: المكان التراثي ودلالته

المطلب السادس: التاريخ الواقعي والمتخيل الذهني في رواية البيت الاندلسي

تمهيد:

يقف قارئ الرواية في العصر الحديث إن صح الوصف على رمال متحركة توجب الاهتمام به ورعايته من قبل الروائي والناقد على حد سواء بوصفه ركنا ركينا في بناء العمل الروائي وفقا للنظرية النقدية الحديثة.

وتأسيسا على ما سبق نحاول من خلال هذه الدراسة قراءة رواية البيت الأندلسي قراءة تتجاوز سطحها الظاهري لتغوص في بناها العميقة كما تهفوا هذه الدراسة التطبيقية إلى استيطان الذات المبدعة بغرض الكشف عن علاقتها بالتراث، واصالة هويتها الذي كان له عميق الأثر في كيفية توظيف الروائي للتراث وصلة ذلك بالهوية.

المبحث الأول: الكاتب وأعماله

المطلب الأول: التعريف بالكاتب

أ- حياته:

هو قامة من قامات الساحة الأدبية والثقافية الجزائرية والعربية ،عرف كيف يجعل التاريخ أسير الرواية، نعم إنه واسيني الاعرج من مواليد الثامن من شهر أوت سنة 1954 ميلادي بقرية سيدي بوجنان الحدودية ضواحي مدينة تلمسان.

تلقى تعليمه في الجزائر ونال الدكتوراه من جامعة دمشق بسوريا ويعتبر أهم الأقلام الروائية في الوطن العربي المنفتحة على أفق إبداعي إنساني ...

وتنتمي أعمال الأديب واسيني، الذي يكتب باللغتين العربية والفرنسية للمدرسة الروائية العربية الجديدة، التي لا تستقر على شكل واحد بل تبحث دائما عن سبلها التعبيرية بالعمل الجاد على اللغة من حيث هي مادة حية.

ب- محطات مهمة في حياة الكاتب:

- تعتبر عائلة واسيني من العائلات الثورية إذ استشهد والده في الثورة التحريرية سنة 1959م.
- انتقل سنة 1964م إلى مدينة تلمسان مع عائلته وبقى فيها من 1968 م حتى 1973م.

وبعدها انتقل إلى وهران، ومكث فيها اربع سنين وهناك كانت تجربته الاولى مع الحياة العلمية، إذ عمل صحافيا محررا ومترجما للمقالات وكان في نفس الوقت يتمم تعليمه الجامعي في قسم الأدب العربي،

- بدأت أعمال واسيني الأعرج في الظهور عام 1974 م حيث صدرت له رواية "جغرافية الأجساد" عن مجلة آمال بالجزائر.
- سافر إلى دمشق ولبث فيها عشر سنوات وحاز في نهاياتها على شهادة الماجيستير برسالة بحث حملت عنوان " اتجاهات الرواية العربية في الجزائر"، ثم ناقش رسالة دكتوراه دولة تحت عنوان " نظرية البطل في الرواية ".

- وبعد عودته الى الجزائر سنة 1985 م التحق بجامعة الجزائر المركزية كأستاذ للمناهج والادب الحديث.
- غادر الجزائر عام 1994 باتجاه باريس وبدعوة من المدرسة العليا للأساتذة وجامعة السربون.

ج– "أهم الوظائف التي شغلها في حياته:

- درّس في عدة جامعات عربية وأجنبية.
- أشرف على عدة فرق بحث علمي أهمها فرقة الرواية.
- أشرف على اصدارات أدبية عديدة
- يشتغل اليوم منصب أستاذ كرسي بجامعة الجزائر المركزية والسربون بباريس.

د–جوائز نالها:

- في سنة 1989 م تحصل على جائزة تقديرية من رئيس الجمهورية شاذلي بن جديد.
- اعتبرت في سنة 1997 م روايته " حارسة الظلال " "دوم كبثلرت في الجزائر" ضمن أفضل خمس روايات صدرت بفرنسا ونشرت قبل أن تنشر في طبعة خاصة ضمت الأعمال الخمسة.
- حصل سنة 2001م على جائزة الرواية الجزائرية على مجمل أعماله الروائية .
- اختير سنة 2005 م كواحد ضمن ستة روائيين عالميين لكتابة التاريخ العربي الحديث في إطار جائزة قطر العالمية، على الرواية الملحمية " سراب الشرق ".
- وفي سنة 2006 م حصل على جائزة المكتبيين على روايته "كتاب الأمير"
- حصل سنة 2007 م على جائزة الأدب " الشيخ زايد " على نفس الرواية أيضا.
- وفي سنة 2008م حصل على جائزة الكتاب الذهبي في معرض الكتاب الدولي على روايته "كريما توريوم " "سوناتا لأشباح القدس".

هـ– ما قيل عن واسيني الأعرج:

قال عنه الناقد والكاتب كمال الرياحي: " يعتبر أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي على خلاف الجيل التأسيسي الذي سبقه، تنتمي أعمال واسيني الذي يكتب باللغتين العربية والفرنسية الى المدرسة الجديدة التي لا تستقر على شكل واحد، بل تبحث دائما عن سبلها التعبيرية بالعمل الجاد على اللغة.[1]"

[1] – زهرة ديك، واسيني الأعرج هكذا تكلم هكذا كتب، دار الهدى، ط1، 2013م، ص ص21، 22.

ويقول الناقد الجزائري عبد القادر شرشار: " تمثل كتابات واسيني الأعرج الروائية ذاكرة، يريد البعض إخمادها لأنها تحمل مآس وأحداثا."

و- مؤلفاته:

- جسد الحرائق "جغرافية الأجساد المحروقة"، مجلة آمال، عدد 1978/48، الجزائر.
- البوابة الزرقاء "وقائع من أوجاع زجل" دمشق / الجزائر، 1980، المركز الثقافي بيروت، 2002.
- ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، الجومق، دمشق، 1982.
- نوار اللوز، الحداثة، بيروت، 1983، باريس، 2001.
- مصرع أحلام مريم الوديعة، الحداثة، بيروت، 1984.
- ضمير الغائب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990.
- الليلة السابعة من ألف، رمل الماية عيبال، دمشق / الجزائر، 1993.
- سيدة المقام، دار الجمل، ألمانيا / الجزائر، 1995، الترجمة الفرنسية، 2009.
- حارسة الظلال، الطبعة الفرنسية، 1996، الطبعة العربية 1999.
- ذاكرة الماء، دار الجمل، ألمانيا 1997.
- مرايا الضرير، باريس، الطبعة الفرنسية، 1998.
- شرفات بحر الشمال، دار الآداب، بيروت، 2001.
- مضيق المعطوبين، الطبعة الفرنسية، 2005.
- باريس، للترجمة الفرنسية 2006.
- سوناتا لأشباح، القدس، دار الآداب، بيروت، 2009.
- البيت الأندلسي، الفضاء الحر، 2010.

إضافة إلى العديد من المقالات في المجلات والصحف، وثنايا الكتب[1].

[1]- زهرة ديك، المرجع السابق، ص 23.

المطلب الثاني: ملخص الرواية:

تدور احداث رواية " البيت الأندلسي"، حول بيت ورثه مراد باسطا عن جده الموريسكي احمد بن خليل المسمى بالأسبانية "غاليليو" وقد شيده منذ قرون عدة ليكون صورة طبق الاصل على منزله في غرناطة التي طرد منها أثناء عملية الاسترداد التي قامت بها الجيوش الإسبانية والتي اسفرت عن تهجير الموريسكيين إلى الجزائر، ووفاء لحبيبته سلطانة أراد بناء منزل يعلو على الأزمنة ويتوج قصة حب خالدة وإن كانت رغبة أن يبني نموذجا لبيته الأندلسي فمرد ذلك سعيه إلى استعادة الزمن، المنصرم زمن الوطن الأول غرناطة، وهو بمعنى ما كان للذاكرة وبديل عن المنفى واسترداد لماضي فردوسي مفقود.

حيث عانى الوريث مع السلطة المتمثلة في البلدية التي تحاول وضع اليد على البيت لإزالته وبناء برج حداثي مكانه، وظل مراد باسطا متشبثا بوثيقة حافظ عليها من العبث والضياع، تروي انعكاس مرايا العصور على حياة هذه السلالة الموريسكية التي اجبرت على مغادرة الاندلس، هذه الوثيقة تتحدث عن هجرة الموريسكيين إلى الجزائر قبل خمسة قرون، تحمل رجع التاريخ وتقلباته وتوقظ احقابا عدّة تمخضت عن احداث ووقائع مثيرة، وامتدت من حروب الاستبداد ومحاكم التفتيش والتطهير الديني إلى مغامرات القراصنة ومجازفات البحارة وهيمنة المحتلين وأطماعهم واستبدادهم، وتعيدنا ورقات المخطوطة الإثنا عشر والتي تتصفحها الفتاة "ماسيكا" بعد أن أنقذتها من الحريق، فكانت "سيكا" هي المنظم الاساسي للعملية السردية بل هي التي جمعت أشلاء النص الذي كان في الاصل مجموعة من الأسئلة المتطايرة بحثا عن إجابات ظلت غائبة، وهي التي اتت بالمخطوطة ورمّتها وعرفتنا على مراد باسطا حفيد غاليليو ومخطوطته، باسطا بالنسبة لها تاريخها المسروق لهذا توليه أهمية قصوى.

البيت الأندلسي مبنى يرمز إلى الجزائر بمكوناتها وموروثها الثقافي، مبنى يطل على البحر الأبيض المتوسط من ربوة عالية، فهو مكون أبدعه الكاتب ليكون مكانا مهما في عمله فالبيت الأندلسي في رمزية إنسانية وطن بتعدد أزمنته من روماني على ضريح ولي إسلامي ليأتي غاليليو بتوسعته على الطراز الأندلسي مع احتفاظه بجدرانه الرومانية والإسلامية، ثم يدخل عليه الأتراك ثم الفرنسيون ثم يأتي نهايته بحريق يلتهم أجزاءه، ذلك البيت القصر الذي مر بعدّة أطوار على مدى

قرون من إنشائه، كما اختلفت وظائفه إلى قصر يسكنه عليّة القوم ثم إلى ماخور ثم إلى دار موسيقى، إلى منشأة مهجورة، وهكذا نجد أن طابورا من السكان قد مرّوا عليه من أتراك وفرنسيين وقادة وعسكريين وأخيرا ينتهي البيت على يد التجار والسلطة الفاسدة لتدمر إرثا وصرحا تاريخيا عظيما.

المبحث الثاني: الدلالة التراثية للعناوين

يعتبر العنوان سمة فنية ميزت روايات واسيني الاعرج كونها تناسقت مع محتوى النص، فلم يأتي عنوانها عبثا، وإنما جاء اختياره على دراية وقصد من الكاتب، وتنقسم العناوين في رواية البيت الأندلسي إلى قسميين هما:

المطلب الأول: العناوين الفرعية وتتجزأ إلى جزئيين هما:

أ- عناوين كلاسيكية: تتبع الكاتب من خلالها عناوين الكتب القديمة، وتسمى العناوين الشارحة، اي المفسرة للأحداث التي سيأتي السارد إلى ذكرها.

ب- العناوين الفرعية: وهي عناوين تضمنت الحديث عن العصر الحاضر الذي يعيشه السارد وهي دارجة.

فالعنوان الرئيسي في رواية " البيت الأندلسي " ضمن العناوين " الموضوعاتية " التي تشير إلى محتوى النص أولها علاقة بموضوعه[1]، وهو يوحي إلى فن العمارة الأندلسية التي أبهرت العالم منذ القدم إلى اليوم .اذ السارد يحمل في طياتها دلالات رمزية ليصبها عن الواقع المعاصر، فهو يبحث من خلال هذا العنوان عن الهوية التاريخية.

المطلب الثاني: العناوين الموسيقية في الرواية:

أ- استخبار ماسيكا:

"الاستخبار نوع من أنواع التقاسيم الموزونة وتعرف كمقدمة أو كفاصل آلي أحيانا"[2]. فجاء العنوان مطابقاً لما سيأتي في الرواية، إذ أوردت ماسيكا في استخبارها المكان الأول الذي عثر فيه على المخطوطة " عندما ذهبت إلى إسبانيا بحثت في وثائق الأسكوريال ومكتبة طوليدو القديمة عما ذكره غاليليو ..."[3]

[1]- عذاوري سليمة، شعرية التناص في الرواية العربية، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، 2012

[2]- الخولي سمحة، الارتجال وتقاليده في الموسيقى العربية، مجلة عالم الفكر. م6، ع1، 1975، ص 23

[3]- الاعرج واسيني، البيت الاندلسي، ص 7.

ب- توشية مراد باسطا:

التوشية هي " المقدمات الموسيقية التي تستهل بها النوبة وهي معزوفة آلية."[1]

إذ ينتقل مراد باسطا في توشيته عن سر تسميته بهذا الاسم ويغلب على توشيته تداخل الأحداث واشتراكها فيظهر نزعته العاطفية تجاه البيت الأندلسي وموقفه من الأحداث التاريخية والقضايا المعاصرة وانعكاسها على البيت ومستقبله.

ج- نوبة خليج الغرباء:

تعرّف النوبة: " القالب الموسيقى المتعارف عليه في الموسيقى الأندلسية وهو يتكون من عناصر أساسية هي المقدمة بأقسامها والميازين الخمسة وبما تحتويه من صناع."[2]

" لفحات البرد االقارص الأتية من الجهة الغربية من خليج الغرباء أيقتضني نهائيا من غفوتي الفجرية"[3].

د- وصلة الخيبة:

الوصلة ونظيرتها النوبة وهي تمثل نظاماً خاصاً في تتابع المقطوعات الغنائية. ويشير الكاتب في هامش الصفحة بقوله: " الوصلة في الموسيقى الأندلسية هي مقطوع الرابطة بين ايقاعين مختلفين."[4]

مقام الرماد: تطلق كلمة مقام في الموسيقى العربية على مجموعة من الأصوات الموسيقية مرتبة ترتيبا خاصا ذات طابع ولون لحني معين[5].

[1]- ينظر: عبد الجليل بن عبد العزيز، الموسيقا الأندلسية المغربية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع129، 1988، ص 81.

[2]- عبد الجليل بت عبد العزيز، الميزان في الموسيقى الاندلسية، العراق، مجلة التراث الشعبي ،م11، ع8، 1980.

[3]- الأعرج واسيني، البيت الاندلسي، ص 37.

[4]- المرجع نفسه، ص 103.

[5]- بلال عبد الوهاب، المقامات العراقية، مجلة عالم الفكر، م6، ع1، 1975، ص 37.

يقول صاحب الرواية: " على الرغم من الرماد الذي يملأ حلقي وعيني ملبس كنت أشعر به بين اكتشاف مدينة أجدادي والموت فيه"[1].

هـ- لمسة سيكا الناعمة:

ويعني بها لمسة إنقاذ المخطوطة التي قامت بها ماسيكا في أثناء الحريق الذي اندلع في البيت الأندلسي، يقول مراد باسطا: " فجأة رأيت "ماسيكا" تسحب المخطوطة المشتعلة في يديها تحرق أصابعها الناعمة وتمنعها من التحول إلى رماد، بإطفائها بأصابعها الناعمة التي انتفخت بسرعة قبل أن تردم المخطوطة تحت التراب"[2].

وهكذا تنتهي فصول الرواية البيت الأندلسي مشكلة بنية موسيقية واحدة مترابطة فيما بينها متكاملة في دلالتها مع الأحداث الرواية، كما كان في استخدامها دلالة على الحس الموسيقي الذي يمتلكه الكاتب من الثقافة العميقة في الموروث الأندلسي، لذلك استخدام المصطلحات الموسيقية لينقل من خلالها التراث الأندلسي.

المطلب الثالث: استلهام التراث العالمي:

من المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها الكاتب رواية " دون كيخوته " وهي من الروايات العالمية "، قد يكون من التعسف أن نجد نشأة الرواية بالقرن السادس عشر أو السابع عشر . أي مرحلة خروج المجتمع الأوروبي بوجه خاص من نمط الإنتاج الاقطاعي إلى نمط الإنتاج الرأسمالي أي نشأة البرجوازية وبالتالي اعتبار رواية دون كيخوته لسيرفانتس البداية المحددة لنشأة الرواية[3].

إذ تشير بعض الدراسات إلى أن "سرفانتس" عمد إلى كتابة رائعته بعد خروجه من الجزائر، ولعل تلك اللفتة جعلت "واسيني الأعرج" يظهر عشقه لذلك العمل لاسيما في روايته " البيت الأندلسي وحارسة الظلال[4]دون كشوت في الجزائر . وتعد رواية البيت الأندلسي الاكثر تأثرا بها في شخصيات الرواية ومحتوياتها لاسيما الجزء التاريخي منها، حيث وظف واسيني الأعرج شخصيات

[1]- الاعرج واسيني، البيت الاندلسي، ص 328.

[2]- المرجع نفسه، ص 446.

[3]- العالم محمود أمين، الرواية بين زمنيتها و زمنها، مجلة قصول، م12، ع1، 1993، ص 14.

[4]- الاعرج واسيني، حارسة الظلال (دون كشوت في الجزائر)، منشورات الجمل، 1999م.

تتسم بحضور قوي في التاريخ الأندلسي وفي رواية دون كيخوته تارة أخرى والشخصيات التي استحضرها من " دون كيخوته "

- سيد أحمد بن خليل "غليليو الروخو": هو شخصية رئيسية وبطله وقد أتى بها من شخصية "سيدي حامد بن الأيل" المؤرخ العربي. الذي وظفه "سرفانتس" راويا، ومؤرخا لروايته " إن الرجل الذي تخبأ وراءه سرفانتس في روايته العظيمة دون كيشوت كان هو غاليليو "[1].

" وأعدت قراءة دون كيشوت الكثير من المرات وفي أكثر من أربع لغات، وشممت نفس الرائحة"[2].

[1]- الاعرج واسيني، البيت الاندلسي، ص 17

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

المبحث الثالث: التوظيفات في الرواية

المطلب الأول: تفعيل التراث الشعبي في "البيت الأندلسي" وعلاقته بالهوية:

إن تفعيل التراث الشعبي هو عملية نجد مبرراتها في أهمية هذا التراث نفسه انطلاقا من كونه كمرآة عاكسة لروح الشعب وقضاياه وضميره وشخصيته الوطنية القومية[1]. فالتراث الشعبي يشكل أحد عناصر الثقافة محلية أو القومية، والتي استطاعت بالأمس أن تكون حصنا منيعا في مقاومة الاستعمار.

أ- توظيف العامية:

لا تخلو الرواية – البيت الأندلسي – من تلك الحميمية الواقعية التي تنشئها شخصيات من عامة الناس بلهجتها العامية، اذ يقول الكاتب في احدى المواضع من الرواية[2]، " تقدم منهم علي وليد الحومة ..."، وهنا يضع الكاتب نفسه ليتحدث بلهجة العاصمية ويضيف حوار بين شابين "عليليو شوف يا خو أنت هو الصح، الباقي لله فستي .تقدر عليها يابومبا توميك يجب أن تنفجر في وجوهم الباردة بوما "، فالكاتب من خلال هاته العبارات يستوقفنا عند اعتزاز المواطن الجزائري بنفسه وأحد الصفات الانفعالية للشعب الجزائري " أشبعت ولا أضيف أكثر، يا خو يا مكاين غير الخير وعلاش بك هذا الشيء؟ ".

لقد زاد توضيف العامية من توضيح الميزة الخاصة للشخصية الجزلئرية.

ب- توظيف اللهجة المغربية:

جاء في الرواية حوار باللهجة المغربية، وهذا دليل على أن الكاتب يعرف جيدا اللهجة المغربية كيف ولا وهو ابن الغرب الجزائري فحدودنا المتاخمة بالمغرب الاقصى تجعل اللهجة متقاربة وهنا تستوقفنا وحدة الهوية الثقافية وليقترب الكاتب اكثر من قرائه وظف عدد من اللهجات وهذا

[1]- النجار محمد رجب، توفيق الحكيم والادب الشعبي (انماط التناص الفلكلوري)، ط1، منشورات عيم الدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، 2001، ص 5.

[2]- الرواية، ص 121.

يدل على تنوع باللهجات وتقاربها في آن واحد اثبات وترسيخا للهوية المغاربية فيقول في للرواية[1]:" من وين الراسا ديالك دابا ؟، – من الجزائر– مش إسبانيولي إذن، لا من أرض اسمها الجزائر."

فكلمة أرض تدل على تمسك الكاتب بانتمائه وهويته الجزائرية إذن الكاتب ينطق شخصياته بلهجتهم المحلية ليعكس فعلا منتوجهم الفكري والاجتماعي ويقترب بهم اكثر من الواقع فيفسح لهم المجال للتعبير العميق عن جزئياته . فالكاتب يسعى إلى تأكيد الارتباط الرواية بالتراث اللغوي تماما.[2]

ج– توظيف الأغاني الشعبية:

وظف الكاتب بعض الأغاني الشعبية بعد وصف حالته، فيقول: " نزلت على الأرض التي علقت رائحتها بتربة جسدي كتبي وأشيائي الخفية ووصلت، وصلت لان يقي النهاية كمن اريد ان اصل حتى لو غرقت في قلب حوت اعمى وغنيت أناشيدي الخفية على الرغم من انكساري"[3].

هاته الحالة التي يعبر عنها الكاتب أعادها في أغنية من التراث منطقة الغرب الجزائري، فيقول: [4]

موت لبحر آبويا

لمواج لهبيلة

والبر بعيد .... بعيد

وصباحا طال آبويا

نلاحظ من خلال هذه الأبيات من الشعر أن الشخصية في هذه الرواية تحن إلى وطنها وهي تعكس رؤية الكاتب وشعوره في البحث وترسيخ هويته، إذ تضعنا هذه الكلمات أمام وصف

[1]– الرواية، ص 332.

[2]–سعيد زعياط، " رواية كتاب الامير مسالك ابواب الحديد " لواسيني الأعرج بين الحقيقة التاريخية و المتخيل الروائي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011، ص 90

[3]– الرواية، ص 64

[4]– الرواية، ص 64.

عميق لتشبث الكاتب وشخصياته بانتمائهم كما عمد إلى توظيف المصطلحات الموسيقى الأندلسية، كما اشرنا من قبل .كما وظف مقطع آخر من التراث حين ذكر أغنية:

" توحشنا حسيبة رشدي ياآكلي خويا "[1]

" سير .... سير يا لزرق سير

المخلولة في تستنى، وآنا خايف من الغير"

هذه الأغنية التونسية دلالة على التعالق بين دول المغرب العربي الكبير ودلالة على تقارب عاداتهم وتقاليدهم.

د- توظيف الأمثال الشعبية:

كما نجد توظيف المثل الشعبي " حوت ياكل حوت الكبير يعيش والصغير يموت ياكل حوت الكبير يكبر والصغير يفوت "[2].

ويضرب هذا المثل في قانون الغاب ذلك أم القوي يأكل الضعيف لهذا نجده مناسب لحالة المتكلم، وهنا نجد الكاتب يؤكد على هويته المحلية باعتبار أن المثل الشعبي جزء من الهوية .

المطلب الثاني: توظيف التراث الديني وعلاقته بالهوية:

يعد التراث الديني من أهم المصادر التي استلهم الأدباء منها مادتهم واسقطوها على أعمالهم الأدبية لارتباطها الوثيق بوجدان الناس وتأثيرهم الكبير في نفوسهم لما فيها من صدق الأنبياء والرسل والصالحين، فرواية البيت الأندلسي تقف عند الملمح الديني في قول الكاتب: " لو غرقت في قلب حوت الأعمى "[3]. تذكر بقصة سيدنا يونس عليه السلام في قوله تعالى:﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ [4]﴾. وكذلك يذكر سيدنا نوح عليه السلام في قول " عمر نوح انتهى"[5].

[1]- الرواية، ص 106.

[2]- الرواية، ص 226.

[3]- الرواية، ص 64.

[4]- سورة الصافات، الآية 142.

[5]- الرواية ص 10.

ويؤكد إحسان عباس قائلا: " أما موقف الشاعر الحديث من التراث الحضاري عامة، فان الحديث عنه يستلزم أن توسع مدلول التراث ومجاله. اذ هو لم يعد تراثا عربيا إسلاميا فحسب، وإنما غدا تراثا إنسانيا"[1] .

ويقول صاحب الرواية متحدثا عن وصية مراد باسطا لسيكا " أريد أن أدفن هنا في مقبرة مرمار التي دشنتها حنا سلطانة ثم جدي الاول غاليليو الروخو، قبل أن يملأها الذين جاؤوا من بعده. أحب هذا المكان .ليس لأن بها كل الناس الذين أحببتهم ولكن المقبرة الوحيدة التي انمحت فيها كل الأديان استقبلت فيها المسيحي واليهودي والمسلم والبوذي وحتى الملحد بهدم"[2]

فنجد الهوية الدينة الاسلامية في الحوارات بين الشخصيات الرواية، وثقافتها في ذكر البسملة، والحمد لله في مواضع كثيرة من الرواية[3].

تنبعث الرواية من حقيقة ألا وهي صعوبة التحكم في الدم أو خرافة النقاد البشري، وهو ما يعبر عنه سيرفانتيس حين يفصح عن مخلوفه تجله محاكم التفتيش: " من يعلم اليوم، بعد ثمانية قرون من الزمن أو أكثر آن دمنا هو دمنا ؟ ماذا كان يفعل المسلمون الذين اختلطوا بنا في أرضنا، ماذا بقي منهم اليوم وماذا بقي منا صافيا بعد كل هذا الزمن ؟ دمنا فيهم ودمهم قينا " [4] .

هذا ما يدل على عدم وجود هوية ثابتة فالهوية بلا شك مؤلفة من انتماءات عديدة [5] فنجد حشدا متتابعاً لأكثر من مقطع سردي ينحو باتجاه الدفاع عن إنسانية الإنسان، فكان صانع الذهب اليهودي ميمون النابلسي الذي عمل معه غاليليو في القصبة رجلا طيبا صافيا كقطرة ماء يقول فيه: " شغلني بسبب الحرفة التي كنت أعرفها جيدا، وضعه كان شبيها بوضعي: جاء مع الدفعات الأولى من المارانوس الذين طردوا من الأندلس " [6].

هذا ما يدل على وجوب التعايش بين مختلف الهويات.

---

[1]- احسان عباس، اتجاهات الشعر العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع2، افريل 1978، ص 118.

[2]- الرواية، ص 10.

[3]- الرواية، ص .358.438.

[4]- الرواية، ص 269.

[5]- رزان ابراهيم، الرواية التاريخية، ص61.

[6]- الرواية، ص158.

المطلب الثالث: توظيف اللغة الأجنبية:

وظف اللغة الفرنسية ممل زاد في تعدد الأصوات داخل الرواية وحضور الواقع بأدق تفاصيله وحيثياته وحضور اللغة الفرنسة في الرواية اتخذ عدة أشكال فظهرت في حواشي الصفحات كالترجمة لبعض المصطلحات " جهنم المخطوطات = lenfer des mamuscrits[1] .

أو بعض الشخصيات الرواية مثل ثولوزان tholozan، دوبرمون de bourant[2].

كما وظف بعض النصوص بالفرنسية " je ne compreds rien …des faits."[3]، وبعض العبارات جاءت بين ثنايا الحوار مثلما جاء الرواية [4]، .

كما وظف اللغة الإسبانية مثل ما جاء في الرواية[5]، جماعة الريكولار = النظاميون، وكذلك لفضة "كونفارسوس"اللتي تعني المرتدون الذين تخلوا عن دينهم، فهذا التوظيف دلالة على ثقافة الكاتب لتصل الرواية إلى عامة والعالمية بطريقة فنية أخذت بعد جمالي دالا على ثقافة الكاتب، وتمكنه من اللغة الفرنسية فقد كيفها لصالح روايته مثلما رأت سعاد خضر أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية والذي استمر من الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية هو سلاح من الأسلحة لمعركة التحرر[6] .

فهذا التوظيف لدلالة على اخفاق المستدمر في صهر الشخصية الجزائرية وإذابة هويته، وابعاده عن جذوره الوطنية .

[1]- الرواية، ص20.
[2]- الرواية، ص423.
[3]- الرواية، ص 376.
[4]- أنظر : الرواية : ص 15-16-27-41-223.
[5]- الرواية، ص05.
[6]- سعاد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية، بيروت، 1968، ص31.

المطلب الرابع: توظيف التاريخ في رواية البيت الأندلسي:

أ- توظيف أحداث التاريخ في الرواية:

يستغل صاحب الرواية التراث ويستمد منه مادته لتشكيل وبناء جل روايته على غرار جزائريين كثيرين أمثال الطاهر والطار والأمين الزاوي ورشيد بوجدرة، والرجوع إلى الماضي، واستثمار التاريخ سواء أكان قريبا يتعلق بحرب التحرير، أم بعيدا يضرب بجذوره في أعماق التاريخ العربي الإسلامي[1].

" يكاد أن يشكل ظاهرة غالبة في الرواية والقصة المكتوبين باللغة العربية في الجزائر"[2] .

- قرواية البيت الأندلسي تلفت إلى حكاية الذات وتعمل على بلورة وعمي نقدي بأخطاء محلية داخلية عبر تعالق وتيق يشتبك فيه التاريخي بالاجتماعي والسياسي "[3] .

ونجد الكاتب قد وظف التاريخ عبر ازمنة الرواية وأقحم النصوص التاريخية في الكثير من المواضع: " أنت شاهد حي، ولكن الذي اعرفه هو ان خسارة الأتراك لم تكن لأقل من ذلك: 110 سفينة مدمرة، وأكثر من 30000 قتيل وجريح، الأقدار العظيمة هي التي شاءت أن يبقي البعض إحياء ليروا ما حدث "[4].

" بعض المريسكين ربى أبناؤه على الإسلام وعلى النصرانية وهو حال أسرتي لتفادي العذاب والمحارق، الكثير من أقاربي من أمي على الخصوص كانوا تجار ميسورين، وأصحاب المزارع الكبيرة والحرفيين يشتغلون في الذهب...، وقد استمر ذلك حتى سيطرة المالك فيب 1555م و1589م على مقاليد الحكم، فكان عهده قاسيا . على كل أفراد العائلة ومن كانوا في حمايتها "[5].

---

[1]- ينظر : سعيد زعيالم، مذكرة ماجيستير، ص110.

[2]- مخلوف عامر : الرواية والتحولات في الجزائر ودراسات نقدية لمضمون الرواية المكتوبة بالعربية، اتحاد كتاب العرب، دمشق ،2000،ص58. http://www.awu-dam.org

[3]- رزان ابراهيم، الرواية التاريخية، ص49.

[4]- الرواية : ص27.

[5]- الرواية، ص181.

فالكاتب هنا وصف حاله الاجتماعية للموريسكيين قبيل سقوط الأندلس كما أن الرواية تعود بنا إلى لحظات التهجير المروعة، حيث أجبروا قهرا على ترك غرناطة التي لم يعرفوا سواها وطنا وهو ما نقلته الرواية في بدايتها وبقيت محتفظة به مذكرة بالمشاعر التي يحتفظون بها، وهذه تنطبق على المشاعر التي يحتفظ بها المرء اتجاه الأرض التي فارقها ليست بسيطة أبدا .

فالنفس الإنسانية بطبيعتها تحن إلى الماضي حين تجبر على الغش في عالم لا يشبه وطنها الأصلي، فكم منزل يؤلفه الفتى وحنينه لأول منزل .

فإن بناء البيت الأندلسي غدا تعبيرا قوي عن رغبة جارفة لدى غاليلو لاسترداد زمن سلب منه.

وهذا ما يعكس على وجهة نظر الكاتب الذي أراد أن يثبت هويته وأصوله .

" حافظوا على هذا البيت فهو من لحمي ودمي ابقوا فيه ولا تغادروه حتى لو اصبحتم فيه خدم أو عبيد "[1].

استخدم الكاتب فعل الامر"حافظوا" للدلالة على اهمية "البيت الاندلسي" وجعله جزء منه لانه يمثل روحه وكيانه.

ب- توظيف الشخصيات التاريخية:

تعج رواية البيت الأندلسي بالشخصيات التاريخية فهناك شخصيات كثيرة استدعاها الكاتب بالاسم وقد وظفها حسب العصور التي مرت عليها الرواية، فقد بدأ بذكر محمد بن أمية صاحب الأندلس، وذكر عبد الرحمان الثعالبي[2]، خيرالدين بربروس، عثمان بن خوجة " قلتها لسيدي عبد الرحمان خوجه، بعد أن رويت له عن كل التفاصيل، إن البيت الأندلسي هو بيت أجدادي بلا منازع حتى ولو استلمه بالقوة آلاف السارقين "[3] .

[1]- الرواية، ص43.
[2]- الرواية، ص 419.
[3]- الرواية، ص 418.

فهذه الشخصيات التاريخية والعربية لها أكثر من دلالة فقد تركت بصمتها في التاريخ الإسلامي والعربي فأوجب على الكاتب استحضارها من حين لآخر لإبراز انتماءه .

وكما سلط الضوء على المرحلة الاستدمارية: فاستحضر الشخصيات الفرنسية الاستدمارية منها المريشال دوبرمون، الذي " نفذ قرارات اتفاقية مع الداي من بينها صون الأرواح والممتلكات، لكنه لم يستقبله ثم توجه نحو الجنيرال ثولوان "[1].

كما أتى على ذكر" جونار كجالة شاذة خالفت العرف الاستعماري في تعامله مع الأهالي من أبناء الأرض الأصليين: ليس الغريب أن يسميه أصدقائه من العسكرين ... المريسكي الجديد"[2].

المطلب الخامس: المكان التراثي ودلالته:

يعتبر المكان من أهم العناصر التي تشكل جمال النص الروائي. إذ نجده في رواية البيت الاندلسي ليس مكانا عاديا بل مكان يتقاطع فيه الانتماء والتاريخ والهوية والجمال.

فإذ كان المكان عنصراً هاماً في الرواية فإنه في رواية "البيت الأندلسي"، قد وُظّف بعدد هائل وسنحاول الوقوف عند بعضها والتي نرها تخدم بحثنا:

إذ تزخر رواية البيت الأندلسي بالكثير من الأمكنة موزعة على مساحة النص الروائي نذكر منها على سبيل المثال "غرناطة، بلنسيا، مالطا، إشبيليا ،باريس، مونتريال، روما" ومدن جزائرية "وهران، العاصمة، تيميمون، البليدة، القصبة" .

مكان الأصل: وهو عادة مسقط الرأس ومحل العائلة والانسان لكن الاساءة تحدث لهذا المكان فيترتب عتها سفر الفاعل بحثا عن وسائل الإصلاح والإنجاز.[3]

[1]- الرواية، ص 422.

[2]- الرواية، ص 214.

[3]- خالدة حسن حضر، مكان في الرواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر، مجلة كلية الآدب جتمعة بغداد، العدد، 102

أ- البيت الأندلسي:

"وليس البيت مجرد مكان خاليا او لنسكن فيه، وإنما هو جزء من كياننا ووجودنا الانساني"[1]

فقد أولى صاحب الرواية اهتماما بالغا بهذا المكان المغلق. وقد تواتر ذكره في الرواية بأن يتخذه عنوانا لنصة " البيت الأندلسي " وترتبط كلمة بيت بلفظة الأندلسي كون الأندلس مكان أيضا فهي ترمز لمرحلة تاريخية فيرسخ في ذهننا ان المكان تاريخ سابقا يضرب جذوره في التاريخ الاسلامي.[2]

وبما أن البيت الأندلسي كما يقول باشلار هو: " ركننا في هذا العالم وهو الذي يتميز عم غيره من الأمكنة المجاورة بأبعادها وأوصافه، فإن الرواية تنبني على تاريخ نشأة البت الأندلسي في بداياته الاولى "سأحمل في رأسي حلمنا الغالي وسأبني بيتنا الأندلسي على الارض الاخرى وسنسكنه مع بعض"[3]، وهذا حلم "سيد أحمد بن خليل ولالة سلطانة بلاثيوس" عندما أعجب بأحد قصور غرناطة.

نلاحظ أن الراوي هنا يصف أجزاء البيت الأندلسي ويتعرض لكل كبيرة وصغيرة وذلك ليقحم القارئ بتخيله في هذا المكان كما هو في الواقع " سر النوافذ الصغيرة الملونة التي تشيه زجاج الكنائس ... كوات الصغيرة ولكن كافية لعبور سمة الحياة كانت عندما لاتفتح لا شيء يرى من داخلها إلى زرقة البحر ..."[4]

كذلك نرى السارد قدم البيت فوصف جدرانه وأثاثه ومن أوصاف البيت ما جاء على لسان حفيد سيد أحمد بن خليل "مراد باسطا" " كل الغرف التي يتكون منها البيت الاندلسي الصالة الكبرى بكل ملحقاتها التي كانت تنفتح على الحديقة قبل أن يغطيها حائط سميك . دار

[1]- غادة الامام، فاستون باشلار (جماليات الصورة)، التنوير لطلتعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص290.

[2]- غادة الامام، فاستون باشلار (جماليات الصورة)، المرجع السابق، ص291.

[3]- الرواية ص94.

[4]- الرواية ص146.

الضيوف المكونة من صالة واسعة وأربعة بيوت مجهزة بكل المنتفعات الصحية بيت الراحة الملازم للمطبخ الذي يتام فيه الساهر عن تسيير الدار وكبير الخدم ...".[1]

فهذا المكان الحميمي الذي دافع عنه مراد باسطا هو بمثابة مكان للانتماء يجب المحافظة عليه وهو الذي يمثل تاريخه وهويته، فهو يصر على أن تبقى المخطوطة في هذا البيت التي " لا مكان لها إلا هذا البيت الذي ولدت فيه، يوم يعاد الاعتبار لهذا البيت"[2].

ب- كاتدرائية التفتيش:

وتوجد في مدينة غرناطة وتعتبر مكان مقدس للعبادة. استغلها رجال الكنيسة في تعذيب واضطهاد المسلمين الذين يسكنون الاندلس بعد سقوط النظام الإسلامي فيها.

يقول على لسان سيد أحمد بن خليل " جروني نحو كاتدرائية قديمة كان باديا عليها لا حياة فيها إلا بومة كانت تجد متعة كبيرة في الوقوف على أحد أجراسها الصدئة، وتزقق على المارة."[3]

فمن خلال تتبع صورة محكمة التفتيش وأصحابها فنجد أم الصورة قائمة على بيان العنصرية الاضطهادية التي ارادها الاسبان في ذلك العصر. من تاريخ الدوبة الاسلامية، ومن أكثر الصور بشاعة تلك الصورة التي نقلها غاليليو يقول: " حمل ميغيل سوطا طويلا وقربه من عيني متلذذ بذعري همهما وكأنه يخشى ان يسمعه من كل يسبقنا أعضاء محاكم التفتيش، هل تعرف وظيفة هذا السوط ؟ ليس لتحريك البغال للحرث والدرس، أجمل من ذلك انظر جيدا ليست ضفيرة جلدية ولكن مصنوعة من الحديد الرقيق الناعم مثل الشعيرات، يضرب بها أعداء الدين"

ج- دار البلدية:

هذا المكان العمومي يرتبط بالبيت الأندلسي فبلجأ مراد باسطا لإيجاد حل لقضية البيت الاندلسي فيصفها قائلا: " كلما دخلت الى دار البلدية أمشي قليلا، أحسب الخطوات داخل الساجة الكبيرة التي تشبه الثكنة ترفع فيها الاعلام في كل صباح، ونعزف الاناشيد الوطنية، ثم

[1]- الرواية ص54، 55.
[2]- الرواية ص52.
[3]- الرواية ص67.

أرفع رأسي تجاه سماء باردة وحانية كثير .كل يوم تحف قليلا فلا أرى إلى واجهة جميلة ومنقوشة من قصر تركي قديم بعضهم يقول أنه قصر حسن فنزيانو ..."[1]

ثم يصف لنا السارد الحالة المتردية التي آل إليها هذا المعلم التراثي العمراني في هذا العصر، والزامية العناية به يقول: "الشرخ الذي أحدثه زلزال العاصمة الأخير ما يزال هو هو، لم يغلقه أحد ولم يرمم أبدا، بدأ الشق ينطلق من رأس البناية حتى أساسها الارضي، يتسع أكثر فأكثر مخترقا بياض الحائط في شكل برج مفتوح".[2]

فيظهر الراوي مدى اهتمامه بالمكان – دار البلدية – كونها تمثل هويته الوطنية ولأنها بناية قديمة تمثل التراث عمراني يجب الاحتفاظ به والمحافظة عليه وذلك بترميمه ليظهر لنا أن البيت الأندلسي ليس وحده الذي طاله الإهمال فيقول مراد بساطا: " لماذ لا يرممون هذا الشق الخطير مثل ما تفعل أنت الآن ؟، ستسقط هذه البناية الضخمة والجميلة يوما على رؤوسهم الخشنة قبل أن تسقط على غيرهم"[3] .

فدار البلدية مكان معادي لمراد بسطا الذي حاول الكاتب من خلاله أن يبدي رأيه وحالته الشعورية بالغثيان نتيجته ما تمارسه السلطات من استبداد وظلم من أجل إخلاء منزله ليحل محله البرج .

وهو مرة أخري يصارع من أجل هويته التاريخية وانتمائه فيقول: " لا أدري ماد حدث لي يومها ولكنني وأنا أمر على حسن التريسيان مرة أخرى تقيأت في ساحة البلدية، إلى درجة أنني أحسست بأمعائي تندلق دفعة واحدة أمامي، تمنيت أن أعود بسرعة إلى بيتي وأخرج من هذا الخوف الخارق "[4].

" وهم عراة فتناثر لحومهم وتتفتت عظامهم يريك أليس إبداعا جميلة "[5].

[1]- الرواية ص109.
[2]- الرواية، ص109.
[3]- الرواية، ص109.
[4]- الرواية، ص113.
[5]- الرواية، ص 31.

من خلال هذا الوصف نكشف الهويات الدينية وأثرها على الحروب الإنسانية.

د– الأندلس:

مثلت قديما بلد عريقا من ضمن عدة بلدان عربية إسلامية، إلاَّ أنها بتخاذل من الحكام المسلمين سالفا تعرضت للسقوط والاندثار، ليتحول هذا المكان في النص الروائي رمزا للفناء والدمار من خلاله يحذر الكاتب العرب، مما سيحدث مستقبلا من انكسارات وهزائم .

المطلب السادس: التاريخ الواقعي والمتخيل الذهني في رواية البيت الاندلسي:

يتحتم على القارئ الجاد للرواية التاريخية تساؤلا مفاده لماذا اختار الكاتب هذا التاريخ ليكتب فيه روايته ؟ وما الدلالات العميقة لهذه الرواية ؟ وماذا تمثل ؟

لقد اختار الكاتب واسيني الأعرج فترة سقوط الأندلس كونها من الفترات المهمة التي جذبت المؤرخين والمبدعين المشارقة والمغاربة للبحث في أغوارها من جهة ومن جهة أخرى للكشف عن الحقائق التي أهملها التاريخ " هناك خيانات يسكت عنها التاريخ لأنها تحرجه، وعندما يتذكرها يكون كل شيء قد رتب ولفته استحالة التغير."[1] وبما أن للمبدع اتساع في حرية الكتابة أكثر من المؤرخ. ذلك أن الأدب ابداع يراهن على الخيال . لتحقيق الجمال وتأثير على المتلقي. أم التاريخ يرهن عن الحقيقة لتحقيق الموضوعية والإقناع.

وقد ذكر " مندور محمد " موقفين للنقاد من هذه القضية: يتمثل الموقف الأول في إنكار حق الأديب في تغيير وقائع التاريخ وبخاصة الكبرى منها، وهم يشبهون موقفه من التاريخ الفعلي الأكيد بموقفه من الحياة المعاصرة لأن التاريخ ما هو إلا الحياة الماضية، وإنما للأديب الحق في أن يتخير ما يحلو له من وقائع التاريخ ،على أن لا يؤدي هذا الاختيار إلى قلب حقائق التاريخ والعبث بمنطقه، كما أن له أن يفسر التاريخ على النحو الذي يهديه إليه إحساسه، وأن يتخير من بواعث الأحداث وخفايا النفوس ما توحي إليه به الوقائع وأن يحكم تبعا لهذا التفسير على الشخصيات التاريخية الأحكام التي تتسق مع منطق تفكيره وإحساسه . ومن هنا مثلا نرى بعض

[1]– الرواية، ص339.

الأدباء يرى في شخصية "جان دارك" التي قادت الجيوش وقاومت الاستعمار الانجليزي لفرنسا مقاومة الأبطال بأنها كانت قديسة طاهرة بينما يرى فيها البعض الآخر استنادا إلى الوقائع نفسها ولكن بتفسير آخر أنها كانت فتاة هستيرية مريضة . وأما الموقف الثاني الذي يورده "مندور، محمد" فيما يراه نقاد آخرون بخصوص هذه القضية، فهو يتمثل في تسليمهم بالحرية المطلقة للأديب إزاء أحداث التاريخ يتصرف فيها كيفما يشاء ولعل"اسكندر دوماس الأب" قد عبر عن هذا الاتجاه أقوى تعبير عندما قال: "التاريخ من يعرفه ؟ إن هو إلا مسمار أشجب فيه لوحاتي" وهو يقصد بذلك تشكيكه الشديد فيما نعتبره يقينا من أحداث التاريخ التي كثيرا ما يضل المؤرخون في الوصول إلى حقائقها وبواعثها الخفية، وهو يقصد ثانيا وترتيبا على ما سبق إلى أن يبيح للأدب حق التصرف كما يشاء في أحداث التاريخ وفقا لمقتضيات فنه بل ووفقا لما يرمي إليه من أهداف.

"كما يلوم كثير من المؤرخين والأكاديميين على معالجة النصوص الشعرية بوصفها وثائق تاريخية بحجة ان الشاعر عادة ما يتأثر بالحدث او بعض متعلقاته او يميل الى بعض الأطراف المشاركة لفعله ... غير أن المسألة مع الرواية التاريخية تأخذ منحى آخر."[1]

لقد سلك الكاتب واسيني الأعرج في روايته عدد من الحيل الروائية في إقناع المتلقي في صدقيتها منها:

- التركيب الجمالي واعتماد عنصر التشويق عبر الايهام بالحقيقة. إذ بدأ الكاتب بمقدمة استخبار ماسيكا وهذا لإقحام المتلقي في النص . وقد عبر عنه الكاتب في حديثه عن الجهد الكبير الذي بذلته ماسيكا حين حفرت في الماضي " لكي تستقيم الحقيقة الضائعة ... استمرار لحياة مضت لايمكنها أن تنطفئ بسهولة "[2]." فكرة فتح قبر غاليليو أروخو أو سيدي أحمد بن خليل مهمة جدا لترميم تاريخ ظل جزئه المهم غريبا مبتور. لكن ذلك يحتاج إلى زمن آخر والى جرأة أكبر وربما ... الى إمرأة أخرى غيري."[3]

[1]- رزان محمود ابراهيم . المرجع السابق، ص 12.
[2]- الرواية، ص 25.
[3]- المصدر نفس ، ص25 .

التوظيف الدلالي للتراث التاريخي لا تكمن فقط في وعي الكاتب بالتاريخ، ولكن تكمن بالأساس في وعيه أيضا بالواقع المعيش، لأن ما يهم الكاتب في توظيفه للشخصية التاريخية أو للموقف التاريخي ليست الشخصية في حد ذاتها ،و لا التاريخ الصحيح، ولكن دلالة الشخصية أو الموقف، لأن دلالة الشخصية التاريخية بما تحمله من قابلية للتأويل والتفسير، هي التي يستغلها الكاتب للتعبير عن واقعه وواقع عصره، ومن خلال ذلك يوضع المتلقي داخل فضاء من الجدل بين لحظة آنية بكل عناصرها الجديدة ولحظة ماضية في حضورها المستعاد ...فعبر التاريخ سيعمل المتلقي ذهنه في الفروق القائمة بين الحاضر والماضي، ويخلص إلى نتائج تمكنه من تجاوز سلبيات حاضره، وصولا إلى واقع أكثر قوة، واستشرافا لمستقبل أكثر إشراقا.

فقد وظف المادة التاريخية على مساحة النص عبر أزمنة الرواية كما نلاحظ أن الكاتب يراوغ المتلقي فينتقل به من العصر الحاضر إلى الماضي ثم يعود به الى الحاضر. فمثلا نجده في قول السارد " ارسل نابليون حملته الى اسبانيا واصدر مرسوم سنة 1808 بالغاء دواوين التفتيش في المملكة الاسبانية."[1].

" بعد الاستقلال في 1962 لم يمت البيت الأندلسي كما توقع الجميع عندما بدأت التصفيات والانقلابات تلوح في الأفق "[2].

" بلدية الجزائر مع وظائفها تم إخلائها وحولت بسرعة عام 1860."[3]

أ- الروائي وشخصيات البيت الأندلسي:

لا نستطيع قراءة البيت الأندلسي دون الكشف على دلالة الشخصيات وعلاقتها بالكاتب هذه العلاقة كانت وثيقة مع بعض شخصيات الرواية والتي كانت تفكر بطريقة الكاتب من هنا يمكننا القول أن هذه الشخصيات قد استثمرها العمل الروائي بغرض التأثير.

[1]- الرواية، ص 373.
[2]- الرواية، ص 426.
[3]- الرواية، ص 439.

فقد تنوعت الشخصيات في الرواية بتنوع الأحداث مابين الشخصيات الايجابية والفاعلة التي تتجلى في الطبقة المظلومة والمقهورة "شخصية غاليلو وعائلته"، وبين الشخصيات الظالمة والمستبدة التي تتجسد من خلال سلطة الكنيسة ومحاكم التفتيش والاستعمار .

هكذا تزخر الرواية " البيت الأندلسي " بتعدد الأصوات بعضها حقيقي وبعضها الآخر متخيل، متنقلا بنا الراوي ومن خلفه الكاتب من شخصية الى أخرى بتقنية " الفلاش باك"، فأحيانا يكون قد عاش في القرن السادس عشر وأحيانا يكون قد عاش في القرن التاسع عشر، ومن الشخصيات المحرك للعمل السردي:

أ-1 غاليليو " سيد أحمد بن خليل":

وهو أحد الموريسكيين المهجرين إلى الجزائر، اتخذ من مدينة القصبة مأوى له . فشيد فيها بيتا ضمنه كل المعايير الفنية على الطريقة الأندلسية، "كان بحارا، شارك في حروب كثيرة قبل أن يتخلى عن الديانة المسيحية ويسلم عندما دخل الى الجزائر، كان متزوجا من يهودية تركت كل شيء أمامها لتعيش معه قسوة المنفى في وهران،حتى قتلها أحد القراصنة حتى يستولي على دارها التي بناها في المرسى الكبير بوهران ... هذا الرجل الذي أنقذ سرفانتس من موت محقق ... استدعى إلى الجزائر ليشتغل مترجما عند أغا الجزائر "[1]

فشخصية " غاليلو" ترمز إلى صورة من الصور الحقيقية للموريسكيين الذين فروا من الأندلس إلى الجزائر، وأرادوا أن يحافظوا على هويتهم وثقافتهم بعدما اضطهدوا من طرف محاكم التفتيش، فعانوا من آلام حفرت في الذاكرة لتبقى مرتبطة بحاضر أبى أن يقتلعها كالشجرة التي تقتلع من

[1]- الرواية، ص 19.

جذورها"مكسوا بالبياض الذي يعم من حين لآخر الذاكرة فيزيغ نحو مدافن لا نريدها في الاصل.....الموريسكي الضائع يلح على البقاء ولو في هيئة خادم[1].

أ-2 مراد باسطا:

شخصية رئيسية تمثل آخر وصي من سلالة المورسكيين المعمرين على أراضي الجزائر وبالتحديد مدينة القصبة، ألقى على عاتقه جده " غاليلو" وصيته المتمثلة في حماية البيت والمخطوطة التي تحمل في طياتها تاريخ مجد ضائع، فكان وفيا لوصية أجداده التي تحمل من أجلها الذل والمهانة، ولاسيما وأنه أحد المعارضين للسلطة آنذاك، بحكم أن النظام في فترة ما بعد الاستقلال كان نظاما فاسدا. هذه الشخصية جاءت مثقلة بالآلام ومعبرة عن خسارة للوطن. " أعتقد أني كنت الوحيد بعد مراد باسطا وربما حفيده سليم. من كانت تعرف المخطوط السري"[2]. "كان مراد باسطا مثل الجراح، دقيقا في كل شيء فقد حكى لي على حافة البحر كل التفاصيل.....اللذان يقتلان في أعماقه"[3].

فقد شكلت شخصية " مراد باسطا" حضورا مميزا في النص الروائي عبره حاول الروائي تمرير خطاب حاد إلى العرب بضرورة العودة إلى الماضي وقراءة التاريخ قراءة فاعلة من شأنها أن تدفعهم إلى الوحدة العربية الحقيقة التي طالما افتقدتها الشعوب العربية.

أ-3 ماسيكا:

الشخصية الثالثة من أصول موريسكية، ونوع من أنواع الموسيقى الأندلسية،[4] وثالث شخصية بعد مراد باسطا وسليم من تعرف بقصة البيت الأندلسي ومكان المخطوطة، مما جعلها

[1] الرواية ص 32.
[2] - الرواية، ص 08.
[3] - الرواية، ص 23.
[4] - الرواية، ص 07.

تتعلق بتلك الآثار إلى درجة كبيرة وهذا ما صرحت قائلة: "يبدو لي أني تورطت في البيت الأندلسي وأصبحت أعرفه أكثر من الذين سكنوه وأقاموا فيه "[1]

وبما من أن "ماسيكا" لا علاقة لها سواء بالبيت أو المخطوطة، إلا حنينها الفياض للأندلس ورغبتها الملحة للكشف عن حقيقة المخطوطة وبالتالي هويتها المفقودة، دفعاها للتعلق بهما والدفاع عنهما لدرجة المخاطرة بحياتها تقول في هذا السياق: " لقد قضيت أكثر من عشر سنوات أرتب هذه التنقلات المختلفة التي جعلت من فكرة الوصول إلى شيء مقارب للحقيقة صعبا حتى ظنني البعض محققة مدنية في قضية غامضة"[2].

لهذا يجعل الروائي "واسيني" شخصية ماسيكا ليرمز بها إلى الإنسان الغيور على تراثه ،فلو قضت السلطة العليا على الفساد في البلاد لما ضاع التراث العمراني أو الثقافي الذي يعد جزء مهما من الهوية الوطنية، وهذا ما أراد الكاتب أن يكشف عنه في نصه داعيا القارئ للوقوف مليا عند هذه المحطات التي من شأنها أن تفعل قراءته وتدفعه للتنقيب والبحث عن ما تم طمسه من طرف الآخر.

بهذا التوظيف للشخصيات يكون الروائي واسيني الأعرج قد أبدع بطريقة فنية من خلال بصمته الخاصة، ليرمز بها إلى تاريخ شعب آفل ومندثر، فتظهر شخصية ثم تتلاشى وتأخذ الأخرى مكانها وفق ما يتطلبه العمل السردي، وتبقى هذه الآلية سارية المفعول إلى نهاية الرواية.

وفضلا عن الشخصيات الفاعلة والمحركة للنواة الدلالية هناك شخصيات أخرى ساهمت هي الأخرى في دفع الأحداث وتطورها منها: حسن خزناجي، ميشال جونار، سليم "حفيد مراد باسطا"..وغيرها من الشخصيات التي شكلت لحمة متماسكة عملت على تفعيل حركة السرد. شكل شخوصه من منطلق تاريخي بعضه حقيقي عاش فعلا في الحقبة العثمانية والبعض الأخر

[1]- الرواية، ص 22.

[2]- الرواية، ص 21.

خليط من التاريخي والمتخيل ،وذلك في حركة تبادلية تكشف عن جميع الإيديولوجيات تجاه البيت الأندلسي، لنستخلص أن الحضارة لا تموت والهوية لا تطمس.

ب– الراوي وأحداث الرواية:

نلاحظ أن الكاتب لم يكتف بحديثه عن الاحتلال الاسباني بل راح يسترسل في الحديث عن سلطة الكنيسة ومحاكم التفتيش التي كانت تصدر الأحكام المجحفة في حق عرب الأندلس، حيث حرم على الأندلسيين التخاطب باللغة العربية والكتابة بها، فكتبوا بلغة الخيميادور خوفا من محاكم التفتيش، وهذه اللغة على حد تعبير "واسيني الأعرج": " لم يختاروها ولكنهم ابتدعوها للحاجة، عندما انغلقت عليهم سبل العيش، وأصبحوا محاربين في حياتهم ودينهم،كتبوا بها نصوصهم وقرآنهم وتفاسيرهم وقوانينهم ليدافعوا عن أنفسهم، كانوا يرفضون أن يموت تاريخهم،كانوا أبناء تلك الأرض التي بقوا فيها أكثر من 800 سنة، أي ثمانية قرون "[1]، وكأن بالمبدع من خلال وقفاته التفصيلية لتلك الأحداث وغيرها التي أبحر معه فيها القارئ إلى أجواء الأندلس يريد أن يمرر خطابا تنبيهيا للعرب ويدعوهم للتفكير مجددا في حضارة الأندلس التي انهارت بسبب غفلة الحكام العرب،بعدما كانت تمثل ذلك الصرح الشامخ الذي طرد وشرد منه أهله بعدما خيروا بين التنصير أو الترحيل.

من جهة أخرى نشير إلى أن الروائي "واسيني" ركز حديثه أكثر على الموريسكي* "غاليليو" وما تعرض له من معاناة وضغوطات سواء من طرف سلطة الكنيسة وكيفية تهجيره إلى الجزائر، أو أثناء الحكم العثماني في الجزائر، لتسمر معاناته مع أبناءه وأحفاده على مدى قرون، ومرجع ذلك هو "البيت الأندلسي" الذي شيده" سيدي أحمد خليل" لزوجته "سلطانة بلاثيوس" التي حلمت دوما أن يكون لها بيتا كالذي رأته وغاليليو على هضاب غرناطة، والذي يعرف اليوم بقصر خدواج العمياء.

[1]– الرواية، ص 145.

وعلى الرغم من تخاذل العرب وعدم استجابتهم لاستغاثات الأندلسيين، إلا أن هؤلاء المهجرين قدموا كل ما لديهم من فنون معمارية وغيرها للبلاد التي استقروا فيها ،و على رأسهم "غاليليو" صاحب البيت الأندلسي الذي بعد أن كان يشتغل عند " حميد كروغلي" أصبح يعمل مترجما في قصر " حسن فينزيانو"، وهي الفترة التي يراها الروائي "واسيني" أن التقى فيها " ميغيل سرفانتس" حين كان رهينة لدى الأغا، فجمعتهما صداقة في مكان غريب عنهما فأصبح " غاليليو يلازم "سرفانتس" كثيرا، وفي هذا السياق يقول الروائي: " سرفانتس "الرجل الأحمر" عرف فعلا غاليليو "سيد احمد بن خليل" لانه تحدث عنه في روايته الشهيرة "دون كيشوت"، فالرجل الذي تخبأ وراءه سرفانتس في روايته الشهيرة العظيمة " دون كيشوت" كان هو "غاليليو"، اذ أن الشبه في الأسماء كان قريبا ومتداخلا، يذكر سرفانتس في مقدمة " دون كيشوت" دي لامنشا.... أن الذي روى له هذه القصص هو سيد حامت بن أنجلي ...الاسم العربي الحقيقي لغاليليو هو تقريبا نفسه مع بعض التحوير الراجع أصلا إلى النطق الإسباني "[1]

وحتى وان تعددت الأحداث وتنوعت في النص الروائي، يبقى البيت الأندلسي والمخطوطة التيمة المهيمنة بل الفاعلة في تصعيد السيرورة السردية من جهة، ووسيلة في نقل الأحداث التاريخية من جهة أخرى، سيما وأن تغييرات عدة طرأت على البيت الأندلسي مرورا بالترميم إلى تحويله إلى دار للفنون والموسيقى ليتم غلقه نهائيا بعد الاستقلال، لينتقل " مراد باسطا" حفيد غاليليو إلى العيش في بيت الخدم، وبهذا تحققت وصية الجد الأول " غاليليو" الذي ترك وصية لنسله مفادها " حافظوا على هذا البيت، فهو لحمي ودمي، ابقوا فيه ولا تغادروه حتى ولو أصبحتم خدما فيه أو عبيدا"[2].

وعلى الرغم من صمود " مراد باسطا" وحفاظه على تراثه وتراث سلالته "البيت الأندلسي"، إلا أنه هزم في آخر المطاف بعدما ظل يصارع وحده تلك القوى الجائرة، وكما يقال اليد الواحدة

[1]- الرواية، ص 17-18.

[2]- الرواية، ص 200.

لا تصفق ولكنها تصفع، وهو ما أرادت الرواية أن تقول، كونها تدين بشكل أو بآخر بعض صناع الماضي والمتحكمون في الحاضر، فان لم يستفق المسؤولون وأصحاب المراكز العليا سيعيد التاريخ نفسه ليصبح الحاضر ماضيا آخر شبيها بالماضي الأول.

نستخلص مما سبق ان رواية "البيت ال الأندلسي" تعج بالتوظيفات المتنوعة وخاصة التاريخية منها، التي وقفنا عندها، فقد استلهم الكاتب من التراث العالمي ووظف الموسيقى الأندلسية، واللهجات العامية، واللغة الاجنبية الفرنسية والإسبانية، والتراث الشعبي والديني، في قالب يربط كل شخصية بتراثها ويميز هويتها.

الخاتمة

الآن وبعد هذه الرحلة الشاقة الشيقة مع واسيني في البيت الأندلسي تشرف هذه الدراسة على وضع نقطة النهاية ولكن قبل ذلك لا يفوتنا أن نذكر بأهم نتائج هذه الدراسة ومستخلصاتها :

ـ قطعت الرواية الجزائرية أشواطا موفقة لاسيما في تسعينات القرن الماضي لقربها من حاجات الفرد وتفاعلها مع قضايا المجتمع وتحديات العصر.

ـ تميز التراث الذي عنيت الرواية بوصفه بعدة خصائص عمقت الاتصال والاهتمام به وأكدت انتماءه للحضارة الإسلامية عبر تواتر زمني وحركية متصلة.

ـ لم يكن توظيف الروائي للتراث عبثا أو بعيداً عن الوعي بل كان مقصودا، وبطاقة متجددة وبأبعاد جمالية وصور فنية تثبت مكانته وعبقرية مبدعه.

ـ تؤكد روايته "البيت الأندلسي"، انتماء هذه الشخصية الروائية إلى مجتمع له تقاليده، وتراثه الشعبي ومنجزاته التاريخية وهويته التي لا يتنازل عنها.

ـ تعددت مفاهيم الهوية بين اللغوية والفلسفية والاصطلاحية نظرا لعمق اتصالها بعدة جوانب اجتماعية وسياسية ونفسية وتعددت اشكالها فمنها الفردية والجماعية، والثقافية...

ـ لا يمكن فصل التراث عن الهوية أو الهوية عن التراث بحال من الأحوال لأنهما عنصران متكاملان متلازمان. ويؤكد ذلك بواعث توظيفه التراث في فن الرواية كالواقعية، والفنية، والثقافية

ـ تحيلنا رواية "البيت الأندلسي" إلى تاريخ المسلمين في الأندلس، بهدف الدخول إلى جوهر الواقع العربي فهي مرآة عاكسة فتتفتق دلالاتها الرمزية في مناخ تاريخي اجتماعي وسياسي يوحي بواقعية ما تتضمنه من أحداث.

ـ الفكرة الرئيسة التي طغت على رواية " البيت الأندلسي " هي الميل إلى تحفيز المتلقين في كل عصر على الاطلاع على كل مكوناتهم واعتبار كل هوية من هوياتهم هي محصلة لانتماءات عديدة.

ـ نجح الكاتب متوسلا بهذه الرواية في تسليط الضوء على أخطر إشكالية والمتمثلة في الحفاظ على التراث بوصفه جزءاً لا يتجزأ من هويتنا. ومن خلال ذلك فتح الروائي عيون قرائه على أهمية التراث وإظهار المتربصين بهويتنا من خلال هدم وتزوير إرثنا الحضاري الذي يضرب بجذوره في عمق التاريخ

ـ تزخر رواية البيت الأندلسي بشتى التوظيفات لاسيما التاريخية منها كما تأكد أثر التراث العالمي فيها من ذلك (رواية دون كيشوت دي لامنشا).

-وظفت الرواية الموسيقى الاندلسية وجعلتها كعناوين فرعية كما وظف الأغاني الشعبية اللهجات العامية إمعانا في تجلية حضور الهوية كما وظف اللغة الاجنبية كالفرنسية والإسبانية بما يؤكد أهمية اللغة كعنصر أساسي من عناصر الهوية التي لم تنجُ هي أيضا من محاولات التحريف.

- استثمر الكاتب الكثير من الجوانب الشخصية في حياته ليجعلها جزءاً من مكونات عالمه المتخيل حتى بدت الرواية والروائي كوجهين لعملة واحدة..

ـ توجه الرواية رسالة الى الأمة العربية للحفاظ على تراثها وتاريخها وحضارتها الضاربة في أعماق التاريخ من خلال شخصياتها الوطنية (ماسيكا، غاليليو، مراد باسطا) لصيانة معلم ال"بيت الأندلس". كجزء من هويتهم الوطنية والتاريخية.

ـ مثل البيت الأندلسي التاريخ الانساني في الرواية لجمعه عدة أصول وحدها في هوية دينية وهو دليل موسوعيته العلمية وعبقريته الفنية.

قائمة المصادر والمراجع

❖ القــرآن الكــريم

أولا: المصـــادر

- الاعرج واسيني، حارسة الظلال (دون كشوت في الجزائر)، منشورات الجمل، 1999م.
- أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1995.
- الشريف علي محمد الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ.
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري لسان العرب ط1 دار صابر بيروت لبنان.
- أبو نصر محمد بن أولزلغ بن طرخان الفارابي، التعليقات، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الركز، 1349هـ.
- واسيني الأعرج، البيت الأندلسي، منشورات الفضاء الحر، الجزائر،2010.
- واسيني الأعرج، كتاب الأمير " مسالك أبواب الحديد "، دار الآداب، بيروت، 2005.
- وهبة مجدي، معجم المصطلحات الادبية في اللغة والأدب، بيروت .1979

ثانيا: المـــراجع

- اسماعيل سيد علي، اثر التراث في المسرح المعاصر، دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دارالمرباح،2000.
- باسم رزق عدلي مرزوق، الهوية الافريقية في الفكر السياسي الافريقي دراسة مقارنة، المكتب العربي للمعارف، لقاهرة، مصر، ط1.
- بوبعيو بوجمعة وآخرون، توظيف التراث في الشعر الجزائري، ط1، منشورات مخبر الأدب العربي القديم والحديث، جامعة باحي مختار، عنابة، مطبعة المعارف، عنابة الجزائر، 2007.
- حسين أحمد غروان، التنمية والتحديث في الوطن العربي، صنعاء، مطابع المتفوق، 2005.
- حنفي حسن، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، ط5، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،2002.

- رزان ابراهيم محمود،الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية،ط1،دار جرير 2012.
- رعد عبد الجليل علي، التنمية السياسية مدخل للتغير، ط1، دار الكتاب الوطنية، ليبيا، 2002.
- سالم لبيض، الهوية، الإسلام، العروبة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،2009.
- سعاد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، (دط)، المكتبة العصرية، بيروت، 1968.
- سعيد اسماعيل علي، الهوية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2005.
- السعيد الورقي، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة،1997.
- سعيد يقطين، السرد العربي (مفاهيم وتجليات)، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2005.
- شكري غالي، أدب المقاومة، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط2، بيروت، لبنان، 1979م.
- طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، القاهرة، 2003.
- عامر مخلوف، توظيف التراث في الرواية الجزائرية، (دط)، منشورات دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، سنة **2005**.
- عباس الجرار، هويتنا والعولمة، النادي الجراري، الرباط، 2000.
- عبد السلام الميسري، الهوية والأمن اللغوي، المركز العربي للأبحاث دراسات السياسات، بيروت، لبنان، ط1، يوليو 2014.
- عبد السلام محمد الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة، بيروت، 1985.
- عبد العزيز بن عثمان التويجري، التراث والهوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، مطبعة الإيسيكو، الرباط، المملكة المغربية، 2011م.
- عبد الفتاح عثمان، الرواية العربية الجزائرية والرواية الواقعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
- عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، (**دط**)، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية المعاصرة في مصر، (دط)، دار المعرف، القاهرة،
- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية الحديثة في مصر، (دط)، دار المعارف، القاهرة، 1963.
- عذاوري سليمة، شعرية التناص في الرواية العربية، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، 2012

- عشري زايد علي، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة .
- علي ملاحي، هكذا تكلم طاهر وطار، (دط)، كنوز الحكمة، 2011.
- غادة الامام، فاستون باشلار (جماليات الصورة)، التنوير لطلتعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- فاطمة الزهراء سالم، نحو هوية عربية إسلامية، دار العالم العربي، القاهرة، 2008.
- القمالي السيد، الاسطورة والتراث، ط3، المركز المصري للبحوث والحضارة، القاهرة،1999.
- محمد العربي ولد خليفة، المسالة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- محمد برادة، أسئلة الرواية أسئلة النقد، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، المغرب، 1996.
- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد كتاب العرب، دمشق. 2002.
- محمد سليمان حسين، التراث العربي الإسلامي دراسة تاريخية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، دت.
- محمد صالح الهرماسي، مقاربة في اشكالية الهوية العروبة والاسلام، سلسلة الثقافة الاسلامية دار الفكر، دمشق.
- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1991.
- محمد عبد الرؤوف عطية، التعليم وازمة الهوية الثقافية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع،القاهرة،2009.
- محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1983.
- موسي سليمان، الأدب القصصي عند العرب، ط3، دار الكاتب اللبناني، بيروت، 1960،
- النجار محمد رجب، توفيق الحكيم والادب الشعبي (انماط التناص الفلكلوري)، ط1، منشورات عيم الدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، 2001.
- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986.
- واسيني الأعرج، الطاهر وطار وتجربة الكتابة الواقعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1989م.

- واسيني الأعرج، النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1985م.

ثالثا: المـــراجع المترجمة

- جوناثان كالر، تر: رشاد عبد القادر، مجلة الموقف الأبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب بدمشق، ع 381، كانون الثاني، 2003.

- فتحي التركي، الهوية ورهاناتها، تر: نور الدين السافي وزهير المدني، الدار المتوسطة للنشر، تونس 2010.

رابعا: الصحف والمجالات

- ابراهيم عبد الله، من الرواية التاريخية إلى التمثيل التاريخي، صحيفة العرب القطرية، 28 أفريل 2010.

- احسان عباس، اتجاهات الشعر العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع2، افريل 1978.

- بلال عبد الوهاب، المقامات العراقية، مجلة عالم الفكر، م6، ع1، 1975.

- خالدة حسن حضر، مكان في الرواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر، مجلة كلية الآدب جتمعة بغداد، العدد، 102.

- الخولي سمحة، الارتجال وتقاليده في الموسيقى العربية، مجلة عالم الفكر. م6، ع1، 1975.

- العالم محمود أمين، الرواية بين زمنيتها وزمنها، مجلة قصول، م12، ع1، 1993.

- عبد الجليل بت عبد العزيز، الميزان في الموسيقى الاندلسية، العراق، مجلة التراث الشعبي، م11، ع8، 1980.

- عبد الجليل بن عبد العزيز، الموسيقا الأندلسية المغربية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ع129، 1988.

- قاسم عبدة، الرواية التاريخية العربية، زمن الازدهار المستقبل، 27 تموز 2010، ع3723.

خامسا: المذكرات والرسائل الجامعية

- اسماعيل تاجي، مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرياته للهوية الجزائرية، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص114

- سعيد زعياط، " رواية كتاب الامير مسالك ابواب الحديد " لواسيني الأعرج بين الحقيقة التاريخية والمتخيل الروائي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011

- سمية أوشن، دور المجتمع المدني في الأمن الهوياتي في العالم العربي: دراسة حالة – الجزائر، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، سياسات عامة وحكومات مقارنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، باتنة (2009-2010.

- مولاي أحمد بن نكاع، رسالة دكتوراه، ملامح الهوية في السينما الجزائرية، جامعة وهران، الجزائر، 2012/2013.

سادسا: المـراجع والمواقع الالكترونية

- ابراهيم القادري بو تشيش، حول مفهوم الهوية ومكوناتها الأساسية www.histoire.makobblog.com.

- بشير خلف، الهوية والعولمة، www.ahewwar.oeg

- حسن عالي: الهوية ودورها في البناء الفكري، www.swmsa .net

- خالد بن عبد الله قاسم، العولمة وأثرها على الهوية، www.,islamtoday.net

- زكريا نوار ، خطوة نحو التأسيس .... الأدب والانتماء www.kalema.net/v1

- الطيب عبد الجليل حسين محمود، اشكالية الهوية وبناء الدولة الوطنية المعاصرة، www.sudanpolice.goo.sdpdf/888

- عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية في إطار الرؤية المتكاملة . www.islamtoday.net/files

- عزيزي عبد الواحد، الهوية كبحث عن الذات www.9.cim/vb/98282

- كاترين هالبيرن، مفهوم الهوية: تاريخه واشكالاته، تر: إلياس بلكا، www.cjtcmay.com/shoro

- هيثم مناع، صناعة الهوية www.9achr.nu/art59

- هيثم مناع، صناعة الهوية www.9achr.nu/art59

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، www.wikipedia.org

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

مقدمة.....أ

الفصل الأول

التراث والرواية

تمهيد.....5

المبحث الأول: التراث.....6

المطلب الأول: مفهوم التراث.....6

المطلب الثاني: أقسام التراث.....7

المطلب الثالث: خصائص التراث.....8

المطلب الرابع: بواعث توظيف التراث.....9

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية.....12

المطلب الأول: النشأة والتطور 12

المطلب الثاني: عوامل تأخر الرواية الجزائرية.....14

المطلب الثالث: اتجاهات الرواية الجزائرية.....16

المبحث الثالث: علاقة الرواية العربية بالتراث.....18

المطلب الأول: علاقة الرواية بالتاريخ 18

المطلب الثاني: أسباب ازدهار الرواية التاريخية المعاصرة.....20

المطلب الثالث: حضور التراث في الرواية العربية المعاصرة 20

المطلب الرابع: التراث العربي والهوية.....22

الفصل الثاني

الهوية

تمهيد.....25

المبحث الأول: المضامين المفاهيمية للهوية.....26

المطلب الأول: مفهوم الهوية.....26

المطلب الثاني: الجانب الفلسفي والنفسي للهوية.....31

المطلب الثالث: الجانب الاجتماعي للهوية.....32

المطلب الرابع: الجانب السياسي للهوية.....33

المبحث الثاني: أسس الهوية وأشكالها وعناصرها.....35

المطلب الأول: أسس الهوية.....35

المطلب الثاني: أشكال الهوية.....40

المطلب الثالث: عناصر الهوية.....44

المطلب الرابع: علاقة الهوية بالتراث.....44

المطلب الخامس: علاقة الهوية بالأدب 45

الفصل الثالث

"البيت الأندلسي" دراسة تطبيقية

تمهيد 48

المبحث الأول: الكاتب وأعماله 49

المطلب الأول: التعريف بالكاتب.....49

المطلب الثاني: ملخص الرواية.....52

المبحث الثاني: الدلالة التراثية للعناوين.....54

المطلب الأول: العناوين الفرعية وتتجزأ إلى جزئيين 54

المطلب الثاني: العناوين الموسيقية في الرواية.....54

المطلب الثالث: استلهام التراث العالمي.....56

المبحث الثالث: التوظيفات في الرواية.....58

المطلب الأول: تفعيل التراث الشعبي في "البيت الأندلسي" وعلاقته بالهوية.....58

المطلب الثاني: توظيف التراث الديني وعلاقته بالهوية.....60

المطلب الثالث: توظيف اللغة الأجنبية.....62

المطلب الرابع: توظيف التاريخ في رواية البيت الأندلسي.....63

المطلب الخامس: المكان التراثي ودلالته.....65

المطلب السادس: التاريخ الواقعي والمتخيل الذهني في رواية البيت الأندلسي.....69

الخاتمة.....79

قائمة المصادر والمراجع.....82

فهرس المحتويات.....89

تم بحمد الله